

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية : العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم : التاريخ



جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الرقم التسلسلي : .....

رقم التسجيل: .....

الإصلاح الاجتماعي عند محمد عبد الوهاب وعبد الحميد بن باديس

مقدمة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي LMD في تخصص: وطن عربي معاصر

إعداد الطلبة:

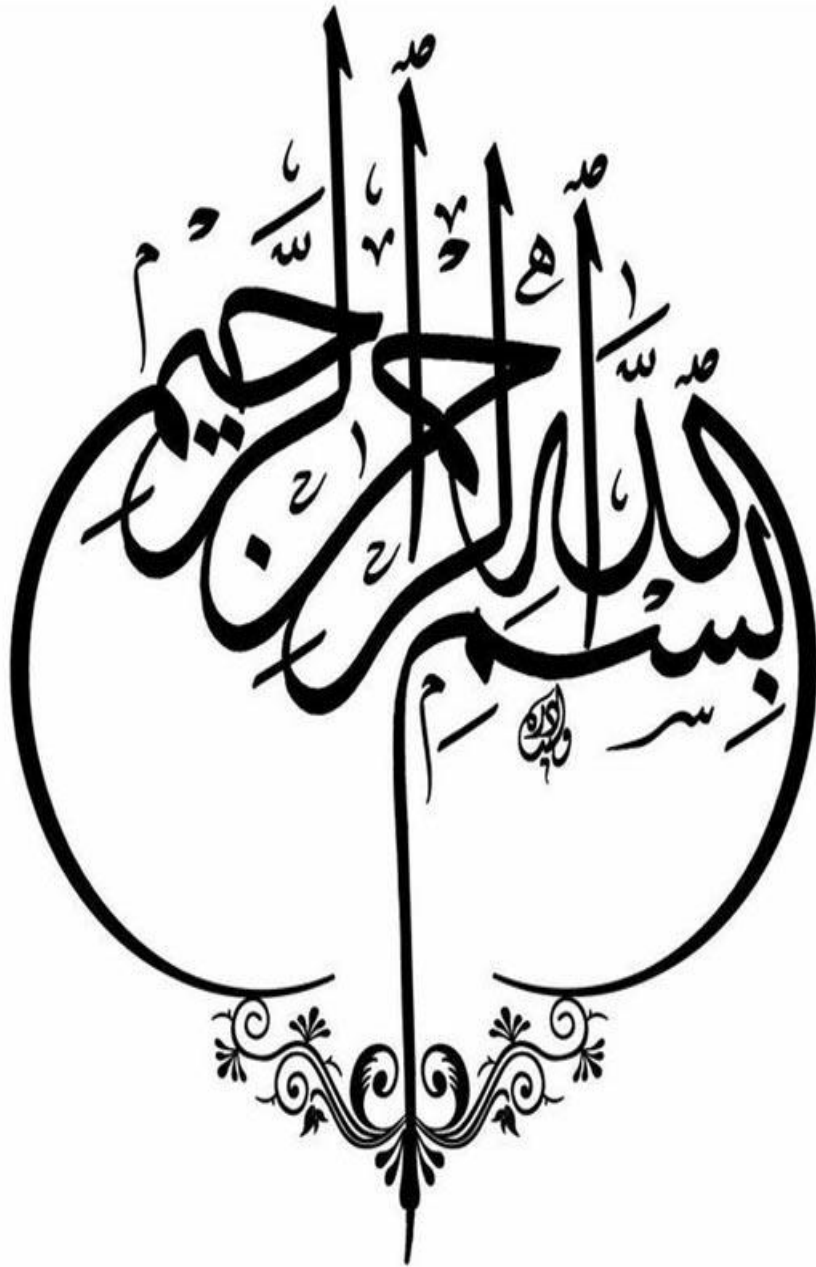
• محمد بن صغير

• بريزة جميع

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	صالح مني		جامعة محمد بوضياف - المسيلة	رئيسا
2	بن محمد يونس		جامعة محمد بوضياف - المسيلة	مشرفا ومقررا
3	نويقة عبد الرحمن		جامعة محمد بوضياف - المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/2020.



الإهداء

إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين، وأصحابه  
والتابعين.

إلى الحضن الدافئ والقلب الطيب الرحيم، المليء بالحنين...

أمي العزيزة.

إلى رمز الصدق والمحبة والوفاء إخوتي وأخواتي الأحباء.

إلى زميلتي في إعداد البحث ..... بريزة

إلى كل من تسعهم مخيلتي ولا تسعهم مذكرتي.

محمد... 

# الإهداء

إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين، وأصحابه والتابعين.

إلى الحزن الدافئ والقلب الطيب الرحيم، المليء بالحنين...

أمي العزيزة.

إلى الذي كان يشجعني على طلب العلم ويدعمني...

والذي الكريم.

إلى رمز الصدق والمحبة والوفاء إخوتي وأخواتي الأبناء.

إلى كناكيت البيت ... عبد المطلب وأمير.

إلى زميلي في إعداد البحث ..... محمد

إلى كل من تسعهم مخيلتي ولا تسعهم مذكرتي.

# شكر وعرّفان

بعد الحمد والشكر لله جل شأنه الذي بث فينا روح الإرادة  
وانعم علينا بتوفيقه لإتمام هذا البحث رغم كل الصعاب الذي  
نحتسبه خالصا لوجهه الكريم.

استنادا لقوله صلى الله عليه وسلم " لا يشكر الله من لا يشكر  
الناس"، فإننا نتقدم بفائق الشكر والتقدير وكامل معاني  
العرّفان إلى:

إلى أستاذنا الفاضل " بن محمد يونس" الذي تفضل بالإشراف  
على هذا البحث، وعلى ما قدمه لنا من توجيهات ونصائح  
وملاحظات، ولما اتسم به من رحابة صدر وتواضع، رغم  
ضيق وقته وكثرة انشغالاته، فله من الله الثواب الجزيل على  
ما قدمه لنا.

وجزاه الله عنا كل خير.

كما أوجه شكري للأستاذ الدكتور صالح لميش على إعانتة لنا  
وتوجيهاته وتصويباته القيمة.

كما نتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على  
قبول مناقشة هذا البحث وتقويمه.

## قائمة المختصرات:

ط: طبعة.

د.ط: دون طبعة.

مج: مجلد.

تح: تحقيق.

ج: جزء.

هـ: هجري.

م: ميلادي.

د.س: دون سنة.

د.ت: دون تاريخ.

د.م.ن: دون مكان نشر.

ص: صفحة.

# مقدمة

## مقدمة:

لقد عرفت الأمة الإسلامية في وقت من الأوقات تراجعاً على المستوى الأخلاقي التربوي والانغماس في الخرافات والبدع والجهل مما أكسبها ضعفاً، ومن هنا كان لابد للأمة الإسلامية أن تدفع لنا رجالاً صالحين يذودون عن شرفها وعزها، ومن بين هؤلاء المصلحين ما جادت به لنا هذه الأرض الطاهرة الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد بن عبد الوهاب والذي سخر نفسه وماله من أجل إخراج الوطن من ظلمات الأمة والجهل ويخرجونها مما تتخبط فيه من جملة من المشاكل والظروف التي صنعها الاستعمار.

إن ظهور حركات التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي ليدلنا على ذلك الترابط والتلاؤم بين أبناء الملة الواحدة، وهو دليل على أن الأمة وإن أصابها ما أصابها، إلا أنها لم تفقد قوتها وروحها، بل إنها تنتظر من يحييها، ويبعث فيها الروح من جديد، وكل ذلك تحقيق لقول المصطفى عليه الصلاة والسلام "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها" فكان محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثامن عشر وكان ابن باديس مجدد القرن العشرين.

ومن هنا اخترنا لهذين المصلحين الجليلين ليكونا محور دراستنا ومبحثنا في مذكرة التخرج وقد ركزنا على جانب من جوانب الإصلاح وهو الإصلاح الاجتماعي عند كليهما، ومحاولة تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين المصلحين من حيث المنهج ومحاربة الفساد.

## \_ طرح الإشكالية:

إن الخصوصية الاجتماعية والظروف السياسية لكلا المصلحين فرضت نفسها بقوة في محاولة إيجاد أوجه التقاطع والاختلاف بينهما من حيث المنهج، وهو ما أثار لدى المهتمين والدارسين جملة من التساؤلات حول التجريبتين والتي كان محمد بن عبد الوهاب السباق لإعلان حركته الإصلاحية في العالم الإسلامي، لأن حركته تجاوزت الحدود القطرية إلى البلاد العربية الأخرى، فهل كان ابن باديس من المصلحين الذين نسجوا على منوال حركة المجدد محمد بن عبد الوهاب؟

وهنا تكمن إشكالية محاولة إبراز جوهر القضايا الإصلاحية المشتركة بين المصلحين في بيئتين مختلفتين زماناً ومكاناً ومحاولة المقارنة بين الرجلين في نوعية المنهج المستخدم ونوعية القضايا المطروحة، كما أنه من الإشكاليات الشائكة في هذه الدراسة محاولة إيجاد محاور كبرى يتقاطع فيها المصلحان؟

- ترى إلى شيء كان يدعو كل من محمد بن عبد الوهاب وعبد الحميد بن باديس؟ أكانت حركتهما ودعوتهما للإصلاح والتجديد أم لا؟
- ما هي أوجه التقاطع بين الحركتين وما أوجه الاختلاف؟

### \_ عرض خطة البحث:

للاوصول إلى الأهداف المرجوة من دراستنا والإجابة على الإشكالية المطروحة قمنا بتقسيم موضوع البحث وفق خطة ثنائية إلى فصلين يحتوي كل فصل على ثلاثة مباحث ومطالب ويندرج تحت كل مبحث ثلاث مطالب.

حيث عنونا الفصل الأول بالإصلاح الاجتماعي عند محمد بن عبد الوهاب، وعالجنا في المبحث الأول منه حياة المصلح محمد بن عبد الوهاب، فكان المطلب الأول للتعرف على مولده ونشأته، والمطلب الثاني نسبه وأسرته العلمية، والمطلب الثالث البيئة ودورها في توجيهه الشيخ علميا، بينما في المبحث الثاني تطرقنا لمنهج محمد عبد الوهاب في إصلاح المجتمع ضمن ثلاث مطالب تناولنا التحلية والتحلية في المطلب الأول وفي المطلب الثاني تقويم الأخلاق أما المطلب الثالث الدعوة إلى الاجتماع ونبذ التفرقة.

وفي المبحث الثالث محاربة الفساد عند الشيخ بن عبد الوهاب، ففي المطلب الأول المجتمع في زمنه والثاني مسألة الوقف على الأولاد أما المطلب الثالث موقفه من الربا والرشوة والمخالفات والمنكرات.

وبالنسبة للفصل الثاني فكان بعنوان الإصلاح الاجتماعي عن عبد الحميد بن باديس والذي

يحتوي بدوره أيضا على ثلاث مباحث، تعرضنا في المبحث الأول منه لحياته وتم التطرق فيه من خلال ثلاث مطالب إلى مولده ونشأته في المطلب الأول ثم إلى نسبه في المطلب الثاني ووفاته في المطلب الثالث، أما المبحث الثاني فأوردنا فيه منهج الشيخ بن باديس الذي أدرجنا ضمنه ثلاث مطالب، فالمطلب الأول خصصناه للتحلية والتحلية والمطلب الثاني لتقويم الأخلاق أما المطلب الثالث للدعوة إلى الاجتماع ونبذ التفرقة.

وفي المبحث الثالث محاربة الفساد عند بن باديس، ففي المطلب الأول المجتمع في زمنه والثاني موقفه من ظاهرة البغاء أما المطلب الثالث مقاومة الإلحاد بين الشباب.

الدراسات السابقة: من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع بحثنا ما يلي:

✓ بوصفصاف عبد الكريم، رواد النهضة الفكرية والتجديد في الجزائر 1889\_1965، الجزائر، دار الهدى ط، 2007.

✓ تركي رابع، الشيخ ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 2001.

✓ مرغيث محمد، "قضايا الحركة الإصلاحية عند محمد بن عبد الوهاب وابن باديس"، أطروحة دكتوراه، تاريخ مناقشتها (2014/2015)، جامعة قسنطينة2.

### فرضيات البحث:

- حركة محمد بن عبد الوهاب تجاوزت الحدود القطرية إلى البلاد العربية.
- عبد الحميد بن باديس من المصلحين الذين اقتدوا بحركة محمد بن عبد الوهاب.
- اتفقا الشيخان في إصلاح المجتمع على التربية والتصفية.
- الخصوصية الاجتماعية لمجتمعي الحركتين فرضت نفسها في إيجاد نقاط الاختلاف والتشابه بينهما من حيث المنهج.

### دوافع إعداد المذكرة:

من الأسباب المؤدية الى اختيار هذا الموضوع منها ما هو شخصي ومنها ما هو موضوعي فالأسباب الشخصية تعود إلى الرغبة والاهتمام في معالجة المواضيع ذات الصلة بالإصلاح الاجتماعي لا سيما المصلحين الذين برزا بصفة كبرى في الأمة الإسلامية قاطبة، رغبتنا الشخصية في دراسة الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي وتوضيح سر نجاحها، ومحاولة إنصاف المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي نال التشويه من قبل بعض الكتاب والمفكرين.

أما عن الأسباب الموضوعية فتكمن في إبراز الدور التاريخي الذي قام به ابن باديس في تصحيح وبناء المجتمع الجزائري والرفع من قدره بين المجددين في ظل التعتيم الذي يمارسه البعض فأحاول من خلال هذا أن أعطي الصورة الحضارية المشرفة التي أداها المصلح ابن باديس في الأمة، ومحاولة إبراز العلاقة بين المجددين ابن عبد الوهاب وابن باديس والتأكد من وحدة المنهج والغاية رغم اختلاف الظروف والوسائل.

**صعوبات الدراسة:** أهم الصعوبات والعوائق التي واجهتنا في هذا البحث هي:

- ضيق الوقت وعدم كفايته بالنظر الى طبيعة الموضوع محل الدراسة وما يتطلبه من التوسع والتعمق في البحث.

- عدم توفر المراجع المتخصصة التي تتناول موضوع الإصلاح الاجتماعي عند الشيخين والتي تكتسي أهمية كبيرة في المجتمع.

### \_ المنهج المتبع في الدراسة:

أولاً/المنهج التاريخي: الذي يهتم بتتبع حياة المصلحين ويعطينا وصف شامل لأهم المحطات الكبرى في مسيرة المصلحين، فالمنهج التاريخي يساعدنا على تحديد ورصد الأحداث التاريخية في القطرين.

ثانياً/المنهج التحليلي: هو البحث عن التفسيرات والعلل والأسباب بطريقة موضوعية انطلاقاً من معطيات تاريخية يؤدي بنا إلى نتائج مقبولة ومرضية

ثالثاً/المنهج المقارن: إن توظيف المنهج المقارن في هذا البحث له أهمية كبرى إذ أن محور البحث ودوافعه تركز على استخدام المنهج المقارن بهدف رصد القضايا المطروحة ومقابلتها ببعضها البعض وغالباً ما يعتمد المنهج المقارن على التتبع والاستقراء الشامل للقضايا المدروسة وفحصها ثم انتقاء القضايا التي تصلح للمقارنة بغرض استنتاج ما يمكن استنتاجه.



## الفصل الأول

### الإصلاح الاجتماعي عند محمد بن عبد الوهاب

المبحث الأول: حياة المصلح محمد بن عبد الوهاب

المبحث الثاني: منهج محمد بن عبد الوهاب في إصلاح المجتمع.

المبحث الثالث: محاربة الفساد الاجتماعي عند المصلح النجدي

## المبحث الأول: حياة المصلح محمد بن عبد الوهاب .

فيما كان العالم الإسلامي يعيش ظلاما غيب عقول وقلوب الأمة الإسلامية، من بدع وشرك، كان لابد من مصلح لهاته الأحوال، وتمثل هذا الإصلاح في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

### المطلب الأول: مولده ونشأته

#### أ. ومولده:

ولد محمد بن عبد الوهاب سنة 1115 هـ - 1703 هـ في بلدة العنبر اقليم نجد<sup>1</sup>، تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، وكان حاد الفهم وقاد الذهن ذكي القلب سريع الحفظ، قرأ على أبيه في الفقه، وكان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وجد في طلب العلم وأدرك وهو في سن مبكرة حفا وافرا من العلم، حتى إن أباه كان يتعجب من فهمه ويقول: لقد استقدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام<sup>2</sup>.

#### ب. نشأته:

نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب داخل أسرة علمية ميسورة الحال، إذ تتلمذ على يد أبيه عبد الوهاب بن سليمان، وحفظ القرآن ظهر قلبه قبل بلوغ سن العاشرة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حسين أبي بكر بن غنام، تاريخ ابن غانم المسمى (روضة الأفكار والأفهام لمرتاب حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام) تح: سليمان بن صالح الحراشيف، دار الثالوثية، الرياض، 2010 م، ج1، ص 208.

<sup>2</sup> حسين بن غنام، تاريخ نجد، تحقيق ناصر الأسد، بيروت، دار الشروق، ط2، 1985 هـ، ص: 81.

<sup>3</sup> صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية (في ماضيها وحاضرها)، دار مكتبة الحياة للنشر، بيروت، د.س، ج1، ص 36.

عرف عليه أنه كان حاد الفهم، وقاد الذهن ذكياً، سريع الحفظ، فصيح اللفظ، فاطناً نبيه، وكان على صغره كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد، فقرأ الشيخ محمد عن والده الفقه، المذهب الإيمان أحمد بن حنبل<sup>1</sup>.

كما ضاحات في حلقة أبوه كتب السلف وخاصة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية الذي تأثر بها<sup>2</sup>.

اشتغل بالعلم وجد في طلبه وأدرك الكثير قبل رحله إلى طلب العلم حيث تميز عن باقي أقرانه كما وصف وأخره سليمان قائلًا " كان والده يتعجب من فهمه"، ويعترف بالاستفادة منه مع صغار سنه، وبعد بلوغه سن الاحتلام قدمه والده في الصلاة حيث قال أباه " ورأيت أهل للصلاة في الجماعة"، وزوجه في تلك السنة<sup>3</sup>.

في السنة الثالثة عشر قام بأداء مناسك العمرة والحج ثم زار المدينة المنورة وأقام بها شهراً كاملاً ثم عاد إلى بلدته العينة<sup>4</sup>.

وهكذا نشأ نشأة علمية، فأبوه القاضي كان يحثه على طلب العلم ويرشده إلى طريق معرفته، ومكتبة جده العلامة القاضي سليمان بن علي بأيديهم، وكان يجالس بعض أقاربه من آل مشرف وغيرهم من طلاب العلم، وبيتهم في الغالب ملتقى طلاب العلم وخواص الفقهاء سيما الوافدين باعتباره بيت القاضي، ولا بد أن يتخلل اجتماعاتهم مناقشات ومباحث علمية يحضرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> حسين أبي بكر بن غنام، تاريخ ابن غنام، مصدر سابق، ص 208.

<sup>2</sup> السيد محمود شكري الأنوسين، مرجع سابق، ص 106.

<sup>3</sup> تاج السر أحمد حران، حاضر العالم الإسلامي، دار إشبيلية للنشر، الرياض، 2001 م، ص 107.

<sup>4</sup> سليمان بن صالح الخراشي، مرجع سابق، ص 50.

<sup>5</sup> حسن قاري الحسيني، الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص 8.

ج- رحلته في طلب العلم:

ومن حب الشيخ محمد لطلب العلم، قرر الانطلاق في رحله لطلب المزيد من العلوم، فسافر إلى مكة المكرمة ثانية، ومنها إلى المدينة المنورة، حيث حضر حلقات الدروس في الحرم السنوي للشيخ النجدي عبد الله بن إبراهيم بن سيف\*، الذي شجعه دراسة الفقه الحنبلي، العلم أيضا من عالم الحد الحديث الشيخ محمد حياه السندي المدني، ورجع بعد ذلك إلى العين<sup>1</sup>.

من العينة رحل إلى نجد ومنها إلى البصرة، فلما وصل إليها جلس يقرأ عند عالم من أهل المجموعة يدعى يدعم محمد المجموعي، هذا الأخير قرأ عليه، وأنكر له بعض من أفعال قومه، من الشرك والبدع وأعلن إنكاره قوم هذا العالم مما أنكره الشيخ ضايقوه، وآذوه أشد الأذى بإخراجه من تلك القرية، ماشيا على قدميه وكان في فصل الصيف، وكاد يهلك من الحر والعطش، فوجد في طريقه رجلا أهل بلده الزبير أبا حميدان فسقاه وحمله على حماره بوصله بلده الزبير<sup>2</sup>.

وخرج من الزبير طالبا الشام، لكن نفقته ضاعت فتوجه نحو الأحساء ونزل عند الشيخ العالم عبد اللطيف الشافعي الأحسائي، ثم واصل رحلته فقاصد بغداد التي بقي فيها خمس سنوات، ثم إلى كردستان فأمضى بها عام واحد، ثم رحل بلاد فارس همذان وأصفهان، ودرس بها فلسفه الإشراق والتصوف، ورجع إلى الأحساء<sup>3</sup>، عاكف الشيخ محمد بن عبد الوهاب خلال رحلته في طلب العلم على دراسته كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، و درس آثار ابن قيم الجوزية، وتأثر بهما كل التأثر خاصة رأي ابن تيمية ضرورة العودة

<sup>1</sup> محمد حياة السندي المدني: هو الشيخ العلامة المحدث محمد حياة السندي، صاحب الحاشية المشهورة على صحيح

الإمام البخاري ت 1165هـ. أنظر ابن بشر، مصدر سابق، ص 37.

<sup>2</sup> ياسين بن علي، مرجع سابق، ص 10.

<sup>3</sup> ابن بشر، مصدر سابق، ص 36.

بأمور الدين إلى الكتاب والسنة، وتأثر به في محاربه البدع المنكرات والشرك مثل الاستغاثة بغير الله، والتوسل للأولياء الصالحين والأموات.

والاعتقاد إنهم يجلبون النفع، ويدفعون الضر، والتبرك ببعض المخلوقات والأضرحة، وغيرها محمد بن عبد الوهاب بأفكار ابن تيميه في كتبه ورسائله<sup>1</sup>.

خرج محمد بن عبد الوهاب وقصد حريملاء النجدية، حيث كان والده بعد انتقاله من بلده العينة سنة 1139هـ. بعد وفاه عبد الله بن معمر بسبب الوباء الذي ضرب البلدة، وخلفه حفيده محمد بن أحمد، بينه وبين عبد الوهاب خلافا فعزله من القضاء، الأخير لبلدة حريملاء، محمد بن عبد الوهاب إنكاره على أهل نجد في عقائدهم، فتنازع مع أبوه بقي على هذا الحال حتى وفاه أبيه سنة 1153 هجري 1741 ميلادي<sup>2</sup>.

أعلن الشيخ بعد وفاه أبيه دعوته، أناس من أهل البلد ومالوا معه في حين رفض فريق آخر هذه الدعوة، فنقسم سكان البلد أين مؤيد لهذه الدعوة وبين معارض لها، وقام المعارضين بمحاولات عده للقضاء على الشيخ محمد، إلى بلده العينة لينادي بدعوته من جديد<sup>3</sup>.

### المطلب الثاني: نسبه وأسرته العلمية

ينتمي الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أسرة آل مشرف الوهبة أحد بطون قبيلة تميم<sup>4</sup>، نسبه إلى ابن سليمان بن علي محمد بن احمد بن راشد محمد بن بريد ابن مشرف

<sup>1</sup> عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1966) م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.س، ص212.

<sup>2</sup> ياسين بن علي، مرجع سابق، ص11.

<sup>3</sup> اليكسي فسيلييف، مرجع سابق، ص88.

<sup>4</sup> ياسين بن علي، خروج الوهابيان الخلافة العثمانية، د.ت، دار الزيتونة للنشر، 2004، ص10.

ابن عمر ابن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي النجدي<sup>1</sup>، كان جده سليمان عالما من علماء نجد في القرن 11 هـ، ويتولى القضاء في روضة السدير، كما كان والده عبد الوهاب قاضيا في بلده العينة زمن إمارة عبد الله\* حاكم العينة آنذاك<sup>2</sup>، وخلف الشيخ أربعة أولاد، وكلم من اجله العلماء وهم الشيخ (حسين) والشيخ (عبد الله) الشيخ (إبراهيم) والشيخ (علي).<sup>3</sup>

### أ. مؤلفاته:

ترك الشيخ محمد بن عبد الوهاب الكثير من المؤلفات أبرزها:

• التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد.

• كشف الشبهات.

• أصول الإيمان.

• مختصر صحيح البخاري.

• فضائل الإسلام.

• أحاديث الفتن.

• مختصر زاد الميعاد.

• مسائل الجاهلية.

---

<sup>1</sup> السيد محمود شكري الأوسي، تاريخ نجد، تح: محمد بهجة الأثري، د.ت، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.س، ص 106.

\* عبد الله: هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن حسن بن طوق بن معمر، من بني سعد وبنو سعد أحد بطون تميم الأربعة الكبار، أنظر: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تح: عبد الرحمان بن عبد اللطيف، بن عبد الله آل شيخ، ط4، دار الملك عبد العزيز للمطبوعات، الرياض 1972 م، ج1، ص 121.

<sup>2</sup> أمين سعيد، تاريخ الدولة، مج، د.ت، د. س، ص 27.

<sup>3</sup> السيد محمود شكري الأوسين، مرجع سابق، ص 115.

• نصيحة المسلمين وكتاب الكبائر.

• استنباط القرآن.

كما ترك الشيخ العديد من الرسائل التي نقل بعضها حسين بن غنام في كتابه تاريخ

ابن غنام<sup>1</sup>.

وفاته:

بعد قرابة ثلاثة وخمسين عاما قضاها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في

الاحتساب انسلت روحه الأبية من جسده المنهك، يذكر ابن بشر أنه كان قد ثقل آخر عمره

فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف<sup>2</sup>، توفي الشيخ محمد

بن عبد الوهاب سنة 1206هـ/1791م، وذلك بعد أن ابتعد عن أمور الناس والأموال، ليتفرغ

للعباداة والتعليم<sup>3</sup>.

فذرقت العيون .. وحزنت القلوب.. رحل الجسد الطاهر، وبقي الأثر الخالد، منقوشا

على صفحات التاريخ بأحرف من نور ليضيء طريق الدعاة والمحتسبين.

ونظرا إلى هذه الدعوة كانت صادقة ونابعة من نفس طاهرة لا تبتغي إلا نصرة الحق

والعمل بما جاء به القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة بقيت إلى اليوم، ولو كان

بدعوته شائبة باطلة لنسي الناس الشيخ وحركته، ولكنهم إلى اليوم يذكرونه وسيذكرونه ان

شاء الله<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أنيس الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، المطبعة العلمية، ط1، بيروت، 1928م، ص 32-33.

<sup>2</sup> عنوان المجد في تاريخ نجد 95/1.

<sup>3</sup> محمد أديب غالب، من أخبار الحجاز ونجد (في تاريخ الجبرتي)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د.ب، 1975،

ص71.

<sup>4</sup>

لأنه كان إنسانا عظيما أفنى حياته من أجلهم أمرا بالتوحيد ناهيا عن الشرك، همه الوحيد إعادتهم إلى جادة الطريق، وهكذا يعيش العظماء...كالشموع تحترق لتضيء طريق الآخرين.

رحمه الله تعالى...وجزاء على ما قدمه للإسلام والمسلمين الفردوس الأعلى.

### المطلب الثالث: البيئة ودورها في توجيه الشيخ علميا

لم تكن الأسرة التي ترعرع فيها محمد بن عبد الوهاب والمحيط العلمي الذي نشأ فيها وراء دفعه لطلب العلم وتنوير فكره. بمختلف العلوم والمعارف الدينية والأدبية فقط، بل إن هناك أسبابا أخرى حركت إحساسه وشعوره بالمسؤولية.

لقد أبصر الشيخ الواقع جيدا وقف وقفة المتأمل الناقد لما عليه أهل زمانه في حيلتهم الدينية والدينيوية من الضلال وتفشي الشرك والبدع، وما كانت عليه من حالات الفوضى والانحلال الخلقي والتشرذم السياسي والصراع القبلي، أدرك ذلك وهو الذي جمع في شخصيته القوة النفسية، والذهنية والعبقرية والقيم الخلقية الرفيعة، مما اكسبه عقلا شموليا كانت آثاره ظاهرة وباهرة<sup>1</sup>.

كان محمد بن عبد الوهاب يرى ذلك التناقض والتصادم بين ما نشأ عليه من علم وانفتاح وتحرر في الفكر والعقل، وهو الذي عرف الحياة الإسلامية الصافية على يد أبيه، ومن خلال مطالعته لكتب المحققين من علماء السلف الصالح، فما تعلمه وعرفه، وهو ما يحب أن يكون، في واد والحياة الواقعة والعمل الجاري من الناس على العموم والغالب في واد آخر<sup>2</sup>، بل يسيران في اتجاه معاكس ومناقض للتصور الصحيح المبني على التزام الحياة

<sup>1</sup> محمد بهجة الأثري، محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث، (د ط)، إدارة الثقافة والنشر،

جامعة الإمام محمد بن سعود، 1404هـ/1984م، ص 11.

<sup>2</sup> أنظر: العبود صالح، ج1، مرجع سابق، ص 139.

العلمية ومقررات العقول السليمة والسلوكات الحضارية، في عصر شهد تقدماً كبيراً في شتى المجالات من عصر القبلية إلى مفهوم الدولة، ومن عصر الجمود والتقليد إلى عصر التحرر و الانفتاح في إطار الضوابط الأخلاقية ومتطلبات الحضارة وذلك أن البيئة ففي الحجاز (نجد) على وجه الخصوص كانت تعيش أسوأ الحالات دينياً واجتماعياً وسياسياً، فلقد عادت مظاهر الشرك وصارت الخرافات جزء من حياة الناس وألغوها حتى أضحت ممتزجة بالنفوس ولها من علماء السوء من يدافع وينافح عنها.

هذا الواقع المرير ألم محمد بن عبد الوهاب وخيره بين أمرين: إما أن يستسلم للبيئة وينصهر مع الآخرين، فتكون نفسه وقلبه وعقله وروحه ميداناً للمتناقضات وصراعاتها، واختلاط الوهم بعقيدته الصافية السليمة ودينه القيم، وتصبح الممارسات الجاهلية جزء من حياته ودينه<sup>1</sup> وإما أن يصمم على تغيير الواقع والثورة عليه متحدياً بذلك قوى الجهل وأربابه، وهو الذي يملك قوة نفسية متوثبة متحدية كون منها تصورات فكرية عبرت الحدود المرسومة إلى آفاق بعيدة<sup>2</sup>، وكان الاختيار الثاني هو الأنسب فاختر الصدام والمجابهة على المداهنة، وراح يحارب بالقلم ثم بالسيف، وكانت السيرة صعبة وشاقة.

إن فقه التغيير عند محمد بن عبد الوهاب كان يسير في اتجاه فهم السنن الكونية التي هي ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، فكان يسائل التاريخ أحياناً ويقلب صفحات الأمم الغابرة، وينظر في قصص الأولين من الأنبياء والرسل إلى المجددين، من أجل استلهام العبر ومعرفة طرق التغيير ووسائله، وكانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي المثل الأعلى في هذا، حيث أدرك أن العلم والدعوة إليه هما أساس التغيير والإصلاح، فكان هذا حافظاً له ودافعاً قوياً في نفسه.

<sup>1</sup> أنظر: العبود صالح: ج1، ص 140.

<sup>2</sup> محمد بهجة الأثري، مرجع سابق، ص 11.

لقد أثرت (نجد) على فكر وشعور محمد بن عبد الوهاب، كيف لا هو يرى مجتمعه في ظلمات الجهل والشرك والجمود، ( فلا بد أن يخرج إلى هذه البيئة ويعاملها بمقتضى سنة الله في خلقه)<sup>1</sup> إعمالاً للنصوص الشرعية والسنن الكونية في التغيير، كما كان يعي أن طريق الإصلاح محفوفاً بالمخاطر والمهالك، وأن سنة الابتلاء ماضية في الخلق من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول في تقرير هذه المسألة في إحدى رسائله: .. اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل: الأولى العلم ، وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، الثانية : العمل به ، الثالثة : الدعوة إليه، الرابعة: الصبر على الأذى فيه " وهذا لإدراك لفقهِ التغيير هو الذي جعله يصمد في حركته الثورية صابراً محتسباً".

لقد أيقن محمد بن عبد الوهاب أن العلم وحده كافياً في إرساء مشروع المجتمع الإسلامي وأن الاستزادة منه واستتارة الفكر واستيعاب السنن في التغيير كفيلاً بأن يحدث وثبة في عمق المجتمع، ولذا كانت بيئة الشيخ محركاً لقواه العقلية والنفسية وشعوره بالمسؤولية فراح يبحث ويرحل إلى بلدان أخرى طلباً للعلم وتنويراً للفكر، بل واستكشافاً للواقع في باقي الأمصار الإسلامية التي حظ رحاله فيها وقد استفاد الكثير منها<sup>2</sup>.

وسنرى في المقارنة الآتية أن ابن باديس يلتقي مع محمد بن عبد الوهاب بعض الخصائص العلمية والإنسانية، وفي الاستعدادات الفطرية وفي التنشئة الاجتماعية والشعور بالمسؤولية في ظل الأوضاع المشتركة، ويختلفان في الأوضاع العائلية، حيث كان عبد الحميد بن باديس يرتقي من أسرة عريقة في السياسة والحكم والثقافة من لدن المعز بن باديس في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، وكانت عائلته إحدى الركائز ففي

<sup>1</sup> العبود صالح: ج1، ص 140.

<sup>2</sup> محمد بن عبد الوهاب، الأصول الثلاثة وأدلتها، ط1، دار الآثار، القاهرة: 1426 هـ - 2005 م، ص 3.

الإدارة الاستعمارية الفرنسية، في حين أن أسرة محمد بن عبد الوهاب آل مشرف اشتهروا بالزعامة الدينية وجمعوا بين شرف النسب الذي يلتقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم في إلياس بين مضر وشرف العلم.

### المبحث الثاني: منهج محمد بن عبد الوهاب في إصلاح المجتمع.

يمكن القول أن محمد بن عبد الوهاب قد حدد بدقة الأهداف التي رسمها لنفسه في حركته الإصلاحية واتخذها منهاجا ثابتا وواقعا وموضوعيا يناسب المال والمكان والزمان، ولذا لجأ النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة، فأول خطوة منهجية اتبعها ابن عبيد الوهاب هو تطبيق منهج التحلية والتخلية أو ما يسميه البعض بالتصفية والتربية فكيف وظف المصلح النجدي هذا المنهج في مجتمع تحكمه تناقضات واضحة واختلالات ظاهرة.

#### المطلب الأول: التخلية والتحلية.

أن هذا المنهج هو منهج نبوي خالص وظفه محمد بن عبد الوهاب في حركته وأقصد بالتحلية إزالة الأمراض القلبية والاعتقادات الفاسدة والأمراض النفسية والاخلاق الهابطة. وتحليلتها بالعقائد الصحيحة والسلوكات القويمة والأخلاق الفاضلة، ولا شك أن أثر هذا المنهج سيظهر في السلوك الإنساني وسيكون لنا مجتمعا سويا وقويا أو بالأحرى مجتمعا حضاريا تسوده الفضيلة وتحكم تصرفاته ومعاملاته القوانين الشرعية.

ولعل الفساد الاجتماعي الذي حل (بنجد) في عصر محمد بن عبد الوهاب لم يكن وليد ظروف طارئة، بل هو نتيجة تراكمات تاريخية وعوامل داخلية وخارجية ساهمت في تعقيد الحياة وإفسادها، ولا يكون الإصلاح إلا عن طريق الهدم<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> الريحاني أنيس، تاريخ نجد وملحقاته، ط1، المطبعة العلمية، بيروت /لبنان، 1928، ص 41.

أي هدم العوائد الممقوتة والانحرافات الاجتماعية، ثم تأتي عملية البناء، والحقيقة أن هذه الفلسفة الإصلاحية مستوحاة من التراث الإسلامي القائمة على استلهام التجارب من الجيل الأول منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وتأتي السيرة النبوية كالنموذج الأمثل لهذا المنهج الذي استطاع من خلاله نبي هذه الأمة أن يكون جيلا حمل على عاتقه تبليغ الدعوة الإسلامية وسيادة الأمم في العصور الأولى بفضل هذا المنهج الذي زوج بين التربية الروحية والأخلاقية والنفسية، وبين البناء العقلي والعقدي والسلوكي، والذي أخرج لنا نموذج الإنسان المثالي الذي فجر طاقات عقلية ونفسية وغير من منحى التاريخ العربي العالمي.

لقد أحدث محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية زلزال نفسي بناء بعث الحيوية والحركة والنشاط في الأمة الإسلامية، وأيقظها من سباتها وأعاد إليه شبابها و نظارتها<sup>1</sup>.

فلقد استطاع المصلح النجدي بدعوته أن يصل إلى قلوب الناس بتشكيك واتهام دين الناس وماهم عليه من انحراف عن الفطرة السليمة، ومنهج الشك والنقد أحدث أثرا واضحا في حياة الخاصة والعامة، بل وأدخل بلبله في صفوف المجتمع وجعل عوام الناس يثورون على علمائهم وقادتهم، وفي المقابل قدم صاحب الحركة بديلا عن هذه الممارسات والمفاهيم المغلوطة بتبسيط الدين وتقريب علوم الإسلام، وأعظم شيء شغل محمد بن عبد الوهاب قضية التوحيد التي عليها مدار الصراع والحرب من لدن أول الأنبياء والرسول، ومن ثم فنقطة الانطلاق في فكر محمد بن عبد الوهاب هي تحرير الإنسان من عبودية الإنسان،

<sup>1</sup> المقدم بن إسماعيل: خواطر حول الوهابية، ط1، دار التوحيد للتراث، مصر: 1429 هـ - 2008 م، ص 23.

وعبودية الأوهام وعبودية الكائنات والطبيعة، وبالتالي فإن دعوته هي تعبير عن فهم صحيح لهذه الفلسفة الإسلامية<sup>1</sup>.

لقد كان إقليم (نجد) يعاني من اختلالات اجتماعية وتناقضات واضحة في البنية العقديّة والسلوكية والأخلاقية، فأى إصلاح لا ينبغي على سياسة التفرغ والتطهير فهو مضيعة للجهود والأوقات، فأصلاح الفرد في نظر المصلح النجدي كان قائماً على إزالة الأفكار التقليدية والعادات البالية والعقائد الفاسدة والتطورات الخاطئة والموروثات التي تنافي أسباب التحضر والتمدن، ثم بناء الفرد المسلم بناء صحيحاً قائماً على غرس العقيدة الصحيحة والفكر المستنير، وتحرير العقل من الجمود والتقليد، وبالتالي يمكن الاتكاء في بناء المجتمع المعاصر الذي يعيش وقته، ويخدم تراثه وحضارته وأمته.

إن الفلسفة الإصلاحية الوهابية منذ أن انفجرت كانت ثورة، فقد اهتمت بهذا الجانب الحيوي الذي ظهرت آثاره في الدولة السعودية الأولى، وفي اعتناق الفكرة الإصلاحية وتبنيها ليس على المستوى المحلي أو القطري، بل كانت تحوم في أفق عولمي ولاشك أن هذا المنهج ليس من ابتكار وابتداع ابن عبد الوهاب، وإنما هو تجديد وإحياء للمنهج النبوي الذي يعتبر كقواعد وخارطة طريق في أي إصلاح وتجديد لاشك أن الطريق الذي اختاره الشيخ ابن عبد الوهاب كان محفوفاً بالمخاطر، وقد تلقى معارضة قوية ألفت واقعا معيناً، ومن ثم كان الصدام مع السلطات القائمة أمراً محتوماً، سواء كانت السلطات المحلية في حكام الأقاليم وعلماء زمانه، أو حتى من العامة، وكذلك كان الاصطدام بينه وبين السلطة العثمانية مسألة وقت ليس إلا فالخليفة العثماني هو أمير المؤمنين وسلطان المسلمين وحامي العقيدة وهو يمثل ويعتمد على نظام يقوم على كل ما يعارضه الشيخ ابن عبد الوهاب. وهو - أي السلطان - المسؤول نظرياً.

<sup>1</sup> جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ط 3، 1402 هـ - 1982 م.

والمهم بالطبع بقاء الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية على ما هي عليه، ومنع أي محاولة تغيير، خاصة إذا اتخذت شكل الدعوة العامة، دعوة لا تتقيد بمطالب أسرية وقبلية أو إقليمية<sup>1</sup>.

والحق أن محمد بن عبد الوهاب استطاع بدعوته السلفية القائمة على منهج التصفية والتزبية أن يكون جيلا يعتز بإسلامه ودينه ولغته، وبيثه في نفوسهم عقيدة التوحيد الخالص، هانت عليهم الدنيا، بل هانت عليهم أنفسهم، فندبوا أنفسهم لنصت الدعوة، وتشكلت فيالق من العلماء لنشر تعاليمها رغم ما حل بهم من ردود فعل قوية، سرعت من زمن المواجهة والصدام.

إن إعادة بناء الفرد النجدي في إطار الجماعة وفق رؤى محمد بن عبد الوهاب كفيلة باسترجاع عزة الإسلام والمسلمين، في ظل العجز الإسلامي الذي لم يستطع مواكبة ومسايرة حركة التطور المجتمعات الإنسانية، إضافة إلى الانحطاط والتخلف الفكري والمادي الذي جعل من الأمة الإسلامية تعيش خارج عجلة التاريخ، وبالتالي فالبناء الفردي هو فالحقيقة تأسيس لمجتمع عصري حري بأن تكون لديه قابلية التكيف مع الظروف والبحث عن أسباب التطور، ولقد تمكن المصلح النجدي من هدم الموروث التاريخي العربي التقليدي الذي لم يعد صالحا لتحمل مسؤولية قيادة الأمة، وعمل على تجديد روح الحياة وبعث نفس جديدة وقوة مستمدة من القرآن والسنة، كما استطاع الرجل من القضاء إلى حد كبير على الذهنية القبلية والأسرية التي كانت تحكم حركة المجتمع النجدي وعلاقاته.

لقد عمل الشيخ على بناء عقيدة توحيد العبودية لله تعالى في النفوس والقلوب، ليؤسس عليها حف الاعتراف بسلطان الخالق وهيمنته على جميع الأمور، وأن الله وحدده التأليه العام والعبودية المطلقة والحكم والأمر، وكان من مقتضى تحقيق طاعة الله أن يلغي

<sup>1</sup> جلال كشك، مرجع سابق، ص 1.

الشيخ كل ما بني فيها في ظل الظروف القبلية السائدة في (نجد) غالب الجزيرة العربية<sup>1</sup> وقد كان لهذا المسلك نتائجه المحموده ،وأعظمها أنه أعاد بناء الشخصية المسلمة من جديد وأعاد صياغة الحياة وفق منهج السلف الصالح، وتحويل مسيرتها رأساً على عقب، لتكون ملتزمة بالقرآن والسنة نقية من الخرافات والأوهام والبدع والانحرافات<sup>2</sup>.

وهذا المنهج قد سار عليه مصلحنا عبد الحميد بن باديس في حركته الإصلاحية ليس تقليداً لمحمد بن عبد الوهاب، وغنما اقتفاءً بأثر النبي عليه الصلاة والسلام في المنهج العام لدعوته، وهو المنهج الذي سار عليه كثير من المجددين، وهو الموافق للمنقول والمعقول، ولذا فقد بدأ عبد الحميد بن باديس حركته بتصفية الدين من الشوائب وتطهير الفرد من العقائد المنحرفة التي نشرتها الطرقية وغرستها في نفوس الجزائريين وتعهدتها مدة من الزمن بالرعاية والحفظ، ولذا كان على عبد الحميد بن باديس أن يقتلع جذور هذه العقائد من قلوب الجزائريين ويعمرها بالعقائد السلفية الحقة، وهذا هو الذي حدث لمصلحنا ابن باديس مع مجتمعه، وعليه فإن هناك تطابق تام بين المنهجين واتفاق في الإصلاح الفردي والجماعي بين الرجلين.

### المطلب الثاني: تقويم الأخلاق.

لقد حظيت المسألة الأخلاقية في فكر محمد بن عبد الوهاب باهتمام وعناية مركزة، ذلك أن فكر الرجل وحركته كانت تدور في محور عام، وقائمة على إرساء المعنى الشمولي للإسلام بعيدة عن النظر التجزيئية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي آنذاك، حيث انبرت كل طائفة من الطوائف إلى الاهتمام بجانب معين ومستقل عن الجوانب الأخرى دون تصور أدنى علاقة بينهما فكانت طائفة المتكلمين وعلماء العقيدة التي تعني بدراسة الجانب

<sup>1</sup> الحلبي أحمد، "المتغيرات الثقافية في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الدارة، العدد 1، السنة 32، محرم، 1427 هـ - 2006م، ص 72، 73.

<sup>2</sup> نفسه، ص 77.

الاعتقادي، وطائفة الفقهاء التي تقصر جهودها على دراسة المسائل العلمية من عبادات ومعاملات وغيرها، وطائفة الصوفية وأهل السلوك التي تولت الاهتمام بدراسة الجانب الروحي والأخلاقي من الإنسان، وهذه التجزئة لمفهوم الإسلام فرقت المعنى العام للإسلام وشموليته<sup>1</sup> وهذا الأمر كان سائداً في إقليم (نجد) وغيرها من بلدان العالم الإسلامي ومنها الجزائر أيضاً.

ولقد فاجأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب أهل زمانه بالدعوة إلى المعنى الشمولي للإسلام الذي تنظم في سلوكه كل الجوانب، والمصلح النجدي لم يكن مبتدعاً في ذلك بل يعتبر مجدداً ومحياً للدعوة الشاملة، إلى الإسلام دون تجزئة ولا تفريق بين جانب وآخر، وإنما التفريق في الأولويات والواقع أن المجتمع النجدي كان يعيش انحطاطاً أخلاقياً وسقوطاً فيما تأصل في نفوس النجديين وصارت مظاهر الفساد الاجتماعي والانحراف الأخلاقي وانتشار الأمراض القلبية والنفسية والاجتماعية إحدى المعالم التي تتحكم في حركة المجتمع، كما أن ظهور شرب الدخان وغيرها من المخالفات، دل على أن المجتمع النجدي كان منحطاً أخلاقياً وأن القيم الإسلامية لم يكن لها أثر في ذلك، فإذا كان الجانب العقدي الذي هو أعظم قضية انحراف فيها أهل (النجد)، فما دونها أهون، ولذا كان تفكير ابن عبد الوهاب تفكيراً شمولياً استهدف كل المناحي العامة في مجتمعه ولم يغفل أو يتجاهل بعض القضايا التي تخدم المجتمع وتدفعه إلى التحلي بالفضائل الإسلامية.

إن أول ما بدأ به محمد بن عبد الوهاب هو صلاح القلوب الذي هو مصدر الأعمال والأقوال والتصرفات، وأصل صلاح القلب هو تطهيره من الاعتقادات الباطلة والملوثات الفكرية والذنوب والمعاصي، وأعظم ذنب في نظر محمد بن عبد الوهاب هو الإشراك بالله وصرف شيء من العبادة لغيره، إذا أن فساد القلب سببه الوقوع في الشرك والبدع، وسلامته هو تحقيق التوحيد وإفراد الخالق بالعبودية، لأن صلاح القلب سبب لصلاح الجوارح،

<sup>1</sup> الحلبي أحمد، مرجع سابق، ص 16.

والمستند في هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: {ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله..<sup>1</sup> إن المنهج الوهابي في إصلاح الأخلاق وتهذيبه مرتبط أساساً بصلاح القلب، لأن بصلاحه تظهر الأخلاق الفاضلة كالصبر والشجاعة والعدل والمروءة والعفة والصيانة والجودة والحلم والعفو والصفح وعزة النفس والصدق والإخلاص<sup>2</sup>، وكان محمد بن عبد الوهاب نموذجاً في التواضع والأخلاق السامية والنبذ والعطاء والرفقة والرحمة.

إن دعوة المصلح النجدي كانت دعوة شاملة انطلاقاً من تقرير مبدأ الفهم الشمولي للإسلام وتطبيق أحكامه وعقائده والوقوف عند نواحيه وحدوده، والاقتران بالسلف الصالح في الفهم والسلوك والبعد عن اتباع {فسقة العلماء والعباد}<sup>3</sup>.

والمتمثل في مؤلفات محمد بن عبد الوهاب يجده قد أفراد كتاباً مستقلاً سماه {الكبائر} تطرق فيه إلى أنواع كثيرة من الذنوب والمعاصي والأمراض القلبية: كالكبر والعجب والرياء والسمعة، وسوء الظن بالله والعداوة والبغضاء والفحش، كما ذكر جل الأخلاق الهابطة التي تصدر من اللسان: ككثرة الكلام والتشدد والجدال والكلام الفاحش والكذب ولم يغفل بعض الأمراض الاجتماعية التي تدل على أن أهل زمانه كانوا غارقين في كثير من مظاهر البؤس والانحطاط الأخلاقي، كانتشار البخل والحسد والقول على الله بلا علم وشهادة الزور، وقذف المحصنات والنميمة والبهتان واللعن للأحياء والأموات، وإطلاق الأحكام كالفسق والكفر على الأعيان، كما أشار إلى مسألة يرجع أنها كانت سائدة في المجتمع النجدي باعتباره مجتمعاً قبلياً، وهي الفخر والظعن في الأنساب وادعاء النسب كما أشار إلى بعض القبائح التي سادت المجتمع الإسلامي عموماً وصارت مألوفة، كالمجاهرة بالمعاصي والتحدث بها والغيبة، وكثيراً ما أشار المصلح النجدي إلى قضية الرشوة التي كانت منتشرة في مجتمعه، وخاصة عند القضاة، ولم يغفل حقوق المرأة، حيث اعتبر ظلم المرأة والتعدي على حقوقها كبيرة من كبائر الذنوب، واستدل لها ببعض الآثار النبوية تغليظاً

<sup>1</sup> حديث صحيح رواه البخاري برقم 52 ومسلم برقم 1599.

<sup>2</sup> ابن القيم: الفوائد، ط1، تحقيق عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ - 1983م، ص 161.

<sup>3</sup> محمد بن عبد الوهاب: (ج1)، مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، ص 338.

وتحذيرا من ذلك، وأهم شيء أشار إليه المصلح النجدي حرمان المرأة من ميراثها الذي حرمت منه، وفيه إشارة واضحة-كما سنين لاحقا- إلى مكانة المرأة في فكر الرجل وحركته<sup>1</sup>.

والحاصل أن محمد بن عبد الوهاب قد عالج كثيرا من الأخلاق المنافية للإسلام والمنتشرة في مجتمعه أو في المجتمع الإسلامي عموما، وسلك فيها مسلك الإنذار والتحذير، مع بيان حكم الشرع فيها، وفيه دلالة أن الرجل كانت عنده النظرة الشمولية للإسلام على عكس ما اتهمه الكثيرون الذين لم يطلعوا على فكره ولم يتدارسوا تراثه المنشور، وإنما جل أفكارهم مبنية على ما كتبه خصوم الحركة، ولعل في هذا المسلك تجني على الرجل باتهامه بما ليس فيه، وعليه فإن ابن عبد الوهاب قد تمكن من إحداث تغيير فكري يقوم على إلغاء نظرة التجزئة للإسلام وتأكيد فكرة تلازم بين قضاياه، كما استطاع أن يجنب كثيرا من المفاهيم والأخلاق المنحرفة في زمانه، وأسس للسلفية المعاصرة مفهوما متكاملًا في العقيدة والحياة ونظام الحكم يحقق عبودية الإنسان المسلم لله تعالى، بمفهومها الشامل، كما أكد الارتباط بين أفراد الإسلام على أنه كل متكامل الأجزاء والجوانب، فعملت على إبراز ترابطه وتلازمه واتساقه، كما سعى محمد بن عبد الوهاب منذ البداية على إزالة الآثار السلبية للفكر التجزيئي القائم على دراسة جوانب الإسلام منعزلا عن بعضها البعض، ومن أبرز هذه الآثار السلبية تمزق نفسية المسلم وتشنت عقليته، الأمر الذي ترتب عليه الجهل بحقيقة دين الإسلام، وصورته الصحيحة وبروز صورة مشوهة وقاتمة للإسلام كانت سببا في إساءة الظن به، ونفور كثير من الناس عنه، ولهذا كانت الحاجة ملحة وأكثر من ضرورة إلى تجديد الدين وعرض الإسلام من جديد بكل موضوعية ونقاوة في صورة مبرأة من التشويه شاملة لجميع جوانب الإسلام وأجزائه المترابطة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن عبد الوهاب: الكبائر، ط1، تح: إسماعيل الأنصاري، ط1، ضمن مؤلفات الشيخ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ص 1-80.

<sup>2</sup> الحلبي أحمد: مرجع سابق، ص 30، 31.

### المطلب الثالث: الدعوة إلى الاجتماع ونبذ الفرقة

كان محمد بن عبد الوهاب منذ البداية حريصاً على جمع كلمة النجديين بعدما سئموا من مرارة الفرقة والاختلاف والافتتال وسفك الدماء فلقد وجد تركة ثقيلة في مجتمع درج على السير على نهج التقاليد والعادات الجاهلية، فلم يبق إلا السيف واصلاً وفاصلاً ولم تعد هناك إلا لغة القوة والعنف، وكان مصلحنا النجدي يرى أن سبب ذلك هو الابتعاد عن الإسلام وشرائعه وعقائده، فأى إصلاح لا يبدأ بتصحيح المفاهيم وتطهير العقائد ونشر علوم الشريعة فإنه مضيعة للجهود والأموال.

إن المهمة لم تكن ميسورة ولا سهلة أمام وضع معقد محكوم بإرث تأصل في القلوب وتجدر في النفوس، ولكن المصلح النجدي - وهو ابن بيئته - كان على يقين أن مشروعه سينجح إن استطاع أن يصل إلى قلوب الناس عن طريق التعليم والدعوة والتربية الصحيحة ونشر الأخلاق الإسلامية الفاضلة، وأعظم قضية كان يراهن عليها هو زرع عقيدة التوحيد في القلوب لما لها من أثر في توجيه إيمان الإنسان النجدي وسهولة انقياده وخضوعه لأحكام الدين ونواهيها، كما دعا إلى تأليف القلوب وإتباع الرسول والانقياد لسنته الداعية إلى نبذ الفرقة والحريصة على اجتماع الناس وتألفهم.

والحق أن اهتمام محمد بن عبد الوهاب بمسألة الوحدة الاجتماعية، نابغ من أصول الإسلام الكلية ومقاصده المرعية التي أوجبت على الناس الانتظام تحت مظلة الجماعة وعدم مفارقتها، ولم يكن هذا الأمر إلا لبالغ أهميتها وكبير قدرها وعظم نفعها، إذ هي رابطة المسلمين، قوتهم من قوتها وضعفهم من ضعفها<sup>1</sup>، فقد كان محمد بن عبد الوهاب يرى أن توحيد المسلمين سبب قوتهم وأن تفرقهم سبب عجزهم وضعفهم، ومن القضايا التي تخدم مسألة اجتماع الكلمة طاعة ولاة الأمور، فقد أكد محمد بن عبد الوهاب على هذه المسألة وجعلها إحدى الركائز الأساسية في تحقيق الوحدة الإسلامية، وفيها من المصالح الدينية والدنيوية ما تستقيم به حياة الناس وتنتظم أمورهم، وقد أكد على هذا الأمر في رسالته لأهل

<sup>1</sup> بن برجس عبد السلام: الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والتحذير من مفارقتهم، ط1، المملكة العربية السعودية:

القصيم في قوله : ".... أرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية<sup>1</sup>....." ويزيد الأمر وضوحاً بقوله:"... أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً، فبين الله له هذا بيانا شافيا كافيا بوجوه من أنواع البيان شرعا وقدرا<sup>2</sup>....."

وكلام محمد بن عبد الوهاب هو تقرير لمسألة عقديّة منهجية تتعلق بفقّه التعامل مع ولاية الأمر، وأن السمع والطاعة واجبة في غير معصية، لتعلقها بالمصالح والمفاسد التي هي إحدى قواعد الدين الكلية، لأن الإسلام كله مبني على تحقيق المصالح وتكميلها ودرأ المفاسد وتقليلها.

والناظر في فلسفة المصلح النجدي في هذه القضية يرى أنها مبنية على حقائق تاريخية وأمثلة واقعية، ونظرة شرعية مقاصدية، لأن الشارع الحكيم قد أمر بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، ولأن الاختلاف والتفرق نتيجته الهلاك والضعف والانحطاط، بل إن هذا الأمر سنة كونية قدرية فاستصحاب تاريخ الأمم الغابرة المذكورة في القرآن وفي كتب التاريخ، يرى أن سب هلاكهم وعذابهم وسقوط دولهم إنما هو بسبب الاختلاف والافتراق، ولا يعني هذا أن محمد بن عبد الوهاب من خلال حثه على طاعة ولاية الأمور أنه يرى أن يضيف الشرعية على حكم آل سعود وإيجاد مبررات شرعية لتثبيت حكمهم وإنما القضية أبعد من ذلك، فهي قضية دينية مستندة إلى الشرع ومقررة ضمن مباحث الاعتقاد ومفصلة في كتب السياسة الشرعية، والغرض الأسمى من ذلك تحقيق الاستقرار السياسي والأمني، وحفظ مقاصد الدين وقواعده الكلية باجتماع الكلمة وتحقيق الوحدة، بمفهومها الشامل والكامل.

ومن المؤكد أن المصلح النجدي لم يكن مبتدعا في ذلك أو مجتهدا، وإنما هو متبع للعلماء في ذلك في تنصيبهم على وجوب لزوم الجماعة والحذر من مفارقتها، لأن بهذا الأمر تلتحم كلمة المسلمين وتجتمع قلوبهم وتستقر لهم الأوضاع، لأن أساس البناء الحضاري توفر الاستقرار السياسي والاجتماعي، وهذا ما حرص عليه محمد بن عبد

<sup>1</sup> الفوزان صالح: شرح رسالة محمد بن عبد الوهاب الى أهل القصيم، مرجع سابق، ص 124.

<sup>2</sup> مؤلفات الشيخ بن عبد الوهاب: ج1، مصدر سابق، ص 394.

الوهاب، وأما ما حدث بينه وبين خصومه من حرب ومواجهة بعد تأسيس إمارة الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى فكان أمراً محتوماً وإن كان خصومه هم من بدؤوا الحرب، ففي رسالة بعثها محمد بن عبد الوهاب إلى عالم من علماء العراق\* وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقول الناس فيه، فأجاب عنها موضحاً دعوته ومؤكداً أنه لم يبدأ بقتال أحد يقول: ... وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا فيس ديارنا ولا أبقوا ممكناً، ولكن نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة... وجزاء سيئة مثلها...، وكذلك من جاهر بسبب دين الرسول بعدما عرفه.....<sup>1</sup>.

ويمكن أن نضيف سبباً آخر جعل خصوم الحركة يعلنون الحرب عليها في مهدها، وهو سبب سياسي محض، فقد كان أمراء الأقاليم يخشون من انهيار نفوذهم وسلطانهم أمام نفوذ آل سعود الذي أخذ في الصعود، فهو صراع من أجل السلطة في جوهره، وليس صراعاً من أجل نشر مبادئ الدعوة السلفية أو معارضتها لأن الدعوة السلفية صار لها أتباع في كل مدن (نجد) وغيرها، فاعتناق مبادئ الدعوة كان سابقاً للإذعان لسلطة آل سعود في تلك الفترة، والذي أذكى نار الصراع بين أمراء البلدان النجدية والدرعية هو مبدأ الاحتفاظ بسيطرتهم وسلطانهم في مناطقهم<sup>2</sup> وكذلك ينطبق هذا الأمر على السلطنة العثمانية التي خافت من نفوذ آل سعود وتوسعهم في نشر دعوتهم على حساب هيبة الخلافة ونفوذها.

وعليه فإن محمد بن عبد الوهاب كان يرى أن الاجتماع لا يتحقق إلا بالسمع والطاعة لأنه كان يعتقد أنه دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة، ولا بإمامة إلا بسمع

<sup>1</sup> ابن غنام حسين: تاريخ نجد، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1415 هـ - 1994 م، ص 323.

\* اسم هذا العالم، السوداني، وهو عالم من علماء أهل العراق، بعث برسالة إلى الشيخ ابن عبد الوهاب يسأله عما وصله من أخبار وما يقوله الناس فيه، فأجابه ابن عبد الوهاب برسالة بين فيها دعوته وشرح فيها مقصده، وفند تلك الشبهات والاتهامات التي ألصقت به وبحركته من قبل خصومه الذين افتروا عليه الأكاذيب ووضع فيه الأبطال، أنظر ابن غنام، مصدر سابق، ص 320، والرسالة في الملحق رقم 1.

<sup>2</sup> مرغيث محمد، قضايا الحركة الإصلاحية عند محمد بن عبد الوهاب وعبد الحميد بن باديس " دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، سنة 1435/1434 هـ - 2013/2014، ص 356.

وطاعة ومنها تتحقق الوحدة الإسلامية والاجتماع الذي هو ضد الفرقة والاختلاف، هذا وقد كانت له آراء في السياسة والحكم وفلسفتها انطلاقاً من النصوص الشرعية.

وانطلاقاً من هذه الرؤية الإصلاحية التي نظر لها ابن عبد الوهاب انطلاقاً من فلسفة الإسلام ومقاصد الدين في مجتمع كان منحلاً أخلاقياً واجتماعياً وسياسياً، فهل كان مصلحنا ابن باديس على نفس النهج أم أن الواقع الاجتماعي فرض منهجاً مابيناً ومختلفاً عن المصلح النجدي، وهل كانت فلسفة ابن باديس في الإصلاح الاجتماعي تفرض عليه اتخاذ وسائل أخرى أم أن أمراض المجتمعين متشابهة والحق أن نميل إلى هذا الطرح في كون المجتمع الإسلامي في القرون المتأخرة كان يعيش وضعاً واحداً ومأساة واحدة مع اختلاف يسير فرضته عوامل سياسية واجتماعية وجغرافية.

### المبحث الثالث: محاربة الفساد الاجتماعي عند المصلح النجدي

#### المطلب الأول: المجتمع في زمن محمد بن عبد الوهاب

مما لا شك فيه أن التخلف الحضاري في عصر الرجلين قد شمل جميع مناحي الحياة، وقد تطرقنا في المباحث السابقة إلى قضايا الانحراف الديني، وكيف أن الواقع الإسلامي كان في أسوأ الأحوال، كما أن الفساد السياسي قد بلغ مبلغه سواء في {نجد} أو في الجزائر، وإن كانت هناك خصوصيات اجتماعية انفرد كل مصلح به عن الآخر، إلا أن المؤكد الانحراف الاجتماعي هو تحصيل حاصل في ظل عقم فكري، وسقوط قيمي، وانحراف ديني، وتخبط سياسي، وجهل عام، كل ذلك ساهم في انتشار مظاهر اجتماعية غير حضارية ومنافية للسلوك الحسن ومناقضة للدين الإسلامي، وهذا في رأينا أمر معقول مادام أن كل الجوانب الحياتية قد أخذت حظها من هذا الهبوط الإنساني. ولهذا كان من أولويات المصلحين إيجاد مشروع شامل ومتكامل لإصلاح الأمة والقضاء على ما يسيء للإسلام ويحافظ على صفاء ونقاء المجتمع من مظاهر الفساد الاجتماعي وقد سلكا في ذلك أساليب مختلفة وطرق متباينة، وفي الغالب كان طريق الوعظ والتذكير و الكتابة هو القاسم المشترك

بينهما، كما أن مظاهر الفساد كانت تختلف بحسب البيئة و الظروف الاجتماعية و السياسية، وربما نجد بين الرجلين مفارقات واضحة في كيفية التعامل مع الواقع، بحكم أن محمد بن عبد الوهاب كان يمثل في الدولة السعودية القاضي الأول في البلاد، بينما ابن باديس كما سنراه اكتفى بالدعوة و الخطاب عبر القنوات المتاحة لأنه كان تحت السيطرة الاستعمارية وعليه سنحاول استقراء بعض المظاهر الاجتماعية التي شملتها الحملة الإصلاحية في البلدين ومدى نجاحها في تحقيق أهدافها.

كان المجتمع النجدي يعيش في جاهلية جهلاء، و الحاكم بين الناس هو الموروث الذي صار يتحكم في حياة الناس، وقد ظهر الشيخ بن عبد الوهاب والناس في ظلمات الجهل يتخبطون، وشرائع الإسلام معطلة أو محرفة، فكان على المصلح النجدي أن يبين للناس خطأ ما يعتقدون ويفعلون بمنهجية تراعي الخصوصية الاجتماعية للبلاد والحق أن هناك عادات درج عليها أهل (نجد) سواء ما تعلق ببعض المنكرات وارتكاب المخالفات، أو منها ما تعلق بتعاطي بعض السلوكات المنافية للشرع وللمجتمع. وهذا يعني أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يقتصر في حركته على العقيدة و العبادة وإنما تعداهما إلى قضايا المجتمع، وإن كان بعض هذه القضايا لها ارتباط بالشرع من جهة الجواز والمنع، فمن القضايا التي لها ارتباط بالموضوع مسألة الوقوف على الأولاد دون الإناث، وإن كانت المسألة شرعية ولكن لها بعدا اجتماعيا ونجده وقف أثرا واضحا على التوازن الأسري وحفظ الحقوق الفردية، كما أن الشيخ وقف من قضية الربا موقفا واضحا مبينا حرمتها وحرمة تعاطي الربا وبعض صنوفه، كما أن الرشوة كانت منتشرة عند بعض الناس دون إنكارها، كما نجد قد وقف من ارتكاب المنكرات و الفواحش موقفا حازما وطبق الحدود وأنفذ حكم الشرع في ذلك كما في مسألة المرأة الزانية.

المطلب الثاني: الوقف على الأولاد

صحيح أن المسألة شرعية بحتة كما يبدو، ولكن لها بعدا اجتماعيا - كما أشرنا - وهي قضية تعارف عليها أهل (نجد) بحيث حصروا الوقف على الأولاد الذكور دون الإناث وبعض الأولاد دون البعض<sup>1</sup>، أو حرمان الأزواج والعصبة ونسل البنات مما شرعه الله لهم من حق الميراث، فقد أنكره الإمام محمد بين عيد الوهاب، وسماه وقف الجنف والإثم، وحكم عليه بأنه بدعة ملعونة<sup>2</sup>، ولما فيه من إحداث خلل في العلاقات الأسرية والتعدي على حقوق الغير، والغريب أن بعض المفتين زمان الإمام يفتي بجوازه وأنها صدقة بر تقرب إلى الله.

إن أهل (نجد) قد توارثوا هذه العادة القبيحة مع ما فيه من مخالفة للشرع، وقمع على حقوق الآخرين، وتحايل على الدين، وقد فصل لنا الإمام المجدد ما كان يقوم به أهل (نجد) في هذه القضية وهي إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه، وفر من قسمة الله وتمرد على دين الله مثل:

\_ أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل، ولا تأكل منه إلا حياة عينها.

\_ أو يريد أن يزيد بعض أولاده على بعض فرارا من قسمة الله ووصيته بالعدل.

\_ أو يريد أن يحرم نسل البنات.

\_ أو يريد أن يحرم على ورثته بيع هذا العقار لئلا يفتقروا بعده<sup>3</sup>.

وهذا الأمر في نظر محمد بن عبد الوهاب من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر، لأنه تغيير لشرع الله ودينه، وقد بسط القول في هذه المسألة وبين وجه الحق فيها، وناقش آراء

<sup>1</sup> مرفت بنت أسرة، احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1419 هـ - 1998 م.

<sup>2</sup> نفسه، ص 358.

<sup>3</sup> محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية، ضمن مؤلفاته، مصدر سابق، ص 78.

المخالفين له، وإن كانت القضية الخلاف فيها غير معتبر، فإنها من الناحية الاجتماعية تعد إحدى مثالب المجتمع النجدي الذي تعدى على القوانين والأعراف، مما أحدث خلا في المعادلة الاجتماعية، ولقد عالجها ابن عبد الوهاب معالجة علمية، وأظهر من قوة في ذلك ما أسكت خصومه، ونعتقد أن لبيانه أثرا واضحا في إعادة النظر في هذه المسألة وبعث روح العدل والمساواة بين أفراد المجتمع النجدي، وصيانة الحقوق الفردية في ظل الشريعة الإسلامية، وننوه هنا إلى أن النساء كن أكثر المتضررات من هذه الظاهرة بحكم العادة التي تعارف عليها المجتمع العربي من حرمان المرأة حقها في الميراث وهذا ما يبين لنا - كما أرنأ سابقا - مدى اهتمام المصلح النجدي بالمرأة والعناية بها والدفاع عن حقوقها، وحفظ كرامتها، وإبراز مكانتها التي تليق بها ضمن السلم الاجتماعي.

كان محمد بن عبد الوهاب من أول المنادين والمدافعين عن حقوق الإنسان في ظل الشريعة الغراء، التي صانت حقوق الإنسان ونظمت علاقته، وحفظت أمواله ونصيبه وليس مقبولا أن نجد صيحات من هنا وهناك تدعي جهلا أو جحودا أن محمد بن عبد الوهاب لم يعتن بقضايا الأفراد ومشاكلهم الاجتماعية بل إن الدولة السعودية الأولى شهدت رخاء اجتماعيا وأمنا فكريا وثقافيا ودينيا تحت مظلة الحركة ومبادئها وكان القاضي الأول في البلاد هو ابن عبد الوهاب نفسه الذي كان يشرف على تنفيذ أحكام الشريعة وتطبيقها إن اختيار أو قوة، لأن القاضي كما هو معلوم بيده سلطة التنفيذ والسهر على مصالح الناس وحوائجهم.

المطلب الثالث: موقفه من الربا والرشوة والمخالفات والمنكرات.

### موقفه من الربا:

يظهر من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن المجتمع النجدي كان يتعاطى صوراً من الربا، وليس بغريب عن مجتمع تمرد على القوانين الإلهية والطبيعية أن تتخلل معاملاته أنواعاً من المحرمات، وبخاصة أن الحياة الاقتصادية في بلاد (نجد) كانت لها من الخصوصية ما يجعل أمر التعامل بالربا أمراً واقعاً، بحكم أنه لا يوجد تنظيم سلطوي يشرف أو يراقب المعاملات المالية، ويتحكم في الأسواق التجارية، ومن خلال ما وصلنا من رسائل الشيخ نفهم أن هذا الأمر في حكم المقبول المتعارف عليه، وخاصة ما يحدث بين الفقراء والأغنياء من قروض ربوية في نظر الشرع من المحرمات، ولاشك أن أثر ذلك على المجتمع سيكون سيئاً للغاية، وهو من أسباب حدوث الاختلالات الاقتصادية والأزمات الاجتماعية.

فلقد عثرنا على رسالة ضمن تراث الشيخ بعث بها إلى أحد العلماء العراق يقول له فيا: "... ونهيتهم عن الربا ...<sup>1</sup> ما يعني أن هناك واقعا معينا فرض على محمد بن عبد الوهاب إنكار ذلك، وفي ذلك احتسب -رحمه الله- لما سئل هل الربا يختص بالطغوات؟ فقال: {أن الربا يختص في المكيل والموزون بالطعام والذي قال: أن أعطيك عن ثلاثين هذه الحمر، التي في ذمة هذه الرجل الغائب عشرين زرا، فهذا عين الربا، كيف يشكل هذا عليك وقد اجتمع فيه ربا النسئئة وريا الفصل جميعا<sup>2</sup>}.}

\* الحمر مفرداً أحمر، والأحمر ما لونه الحمرة، وربما كان المقصود بها نوع من النقود المعدنية الذهبية المسماة بالمسكوكات الذهبية، وهي وحدات ذهبية صغيرة الحجم نسبياً وموحدة الوزن والمعيار، أنظر: الفيروز أبادي: القاموس المحيط فصل الدعاء، باب الرءاء، مادة الأحمر، ج 2، ص 13، وكذلك مرفت بنت كامل: مرجع سابق، ص 343.

<sup>1</sup> محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية، مرجع سابق، ص 36.

<sup>2</sup> محمد بن عبد الوهاب: فتاوى ومسائل ضمن مؤلفاته، مرجع سابق، ص 113.

ويظهر لنا أن محمد بن عبد الوهاب قد أدرك خطر التعامل بالربا على المجتمع وأثره على وحدة الأمة وتوازنها الاجتماعي والاقتصادي، وكما هو معلوم أن الربا هو من الأسباب الكبرى لحدوث الكوارث الاقتصادية، صحيح ان عصره لم تكن فيه بنوك تتعاطى الربا أو مؤسسات مالية معاصرة تتعامل بالربا، وأيا كان فإن الربا أينما حل، حل الخراب والدمار على هذا المجتمعات الإنسانية، ولعل المصلح النجدي أدرك بعمق معنى قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَذَكِّرُوا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لَمْ تَعْلَمُوا مَا آتَيْنَا بِحُزْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>1</sup>.

وزيادة هذا فإن هذا الرجل كان وقافا عند حدود الله، ممتثلا أمره ونهيه، ومعظما لحرماته، فلا نستغرب أن يقف من موقفا واضحا وصارما، وقد عرفنا من سيرته صرامته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعل من أسباب حفظ اقتصاد الدولة السعودية وإزدهارها، عدم الوقوع في التعاملات المالية المحظورة شرعا والتعامل وفق ما تقتضيه المعاملات الشرعية المباحة.

### موقفه من الرشوة:

أنكر محمد بن عبد الوهاب على مجتمعه ما كان يسري بين الناس من الرشا، وهي ظاهرة اجتماعية سيئة لها آثار وخيمة وسلبية على حياة الناس ومصالحهم، وهي أمر طبيعي في مجتمع انحرف عن أصل الأصول، فكيف يخفي عليه التعدي على الحرمات، والوقوع في معاملات محرمة، وعليه قد احتسب الشيخ النجدي على من يتعاطى الرشوة أو يجيز صور المعاملات تحايلا على الشرع وتحقيقا لمصالح شخصية أو اجتماعية، ويظهر ذلك من خلال رسائله التي تعد مصدرا موثوقا به في الكشف عن الواقع الاجتماعي (

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 278.

(النجدي)، وأهم مظاهر الفساد التي احتسب فيها محمد بن عبد الوهاب يقول: "أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا إلى غير ذلك من الأمور"<sup>1</sup>.

ويبدو أن للحكام والفقهاء عند ظهور محمد بن عبد الوهاب يدا في تعاطي الرشوة بصور مختلفة، بل ووجد من يجيزها من العلماء، ومما كان منتشرا بين القضاة والحكام أنهم اعتادوا على أخذ أجور من المتخاصمين مقابل الفصل بينهم، واعتبر ذلك من الرشوة في نظر المصلح النجدي<sup>2</sup>، بل قد صرح الشيخ في موضع آخر بقوله: "أن حكام زماننا لما أخذوا الرشوة أنكرت عليهم العقول والفطر، بما جبلها الله عليه، من غير أن يعلموا أن الشارع نهى عنها"<sup>3</sup> وقد اضطر ابن عبد الوهاب إلى كشف شبهات بعض العلماء الذين ذهبوا إلى تحليل بعض أنواع المعاملات هي في نظره رشوة ظاهرة مجمع على تحريمها، بل هي من أكل أموال الناس بالباطل<sup>4</sup>.

ويبدو أيضا من الرسائل التي كان يخطها ابن عبد الوهاب ويناقش بها خصومه أن أكثر الرشا تفشيا رشوة الحكام التي فيها تعد على حقوق الناس، وأكل أموالهم، والتلاعب بالأحكام والحدود الشرعية، ولما فيه من تعطيلها أو تحريفها، ولهذا اشتد نكير المصلح النجدي على هؤلاء حتى وصف بعض من يجيز رشوة الحاكم أو أخذ رشوة من صاحب الحق حتى يحكم له به، فهي عندهم حلال بقوله:..هؤلاء المردة آكلي أموال الناس بالباطل ومذهبي أديانهم مع أموالهم يقال لهم ما قال عمر بن عبد العزيز " رويدا يا بن بنانة " <sup>5</sup> فلو التقت حلقتنا

<sup>1</sup> محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية (الرسالة الحادية عشر)، مرجع سابق، ص 63.

<sup>2</sup> العثيمين عبد الله، محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ط2، دار العلوم، الرياض، 1412 هـ - 1992 م، ص 45.

<sup>3</sup> محمد بن عبد الوهاب: فتاوى ومسائل، مصدر سابق، ص 16.

<sup>4</sup> محمد بن عبد الوهاب: فتاوى ومسائل، مصدر سابق ص 19.

<sup>5</sup> ابن بناته هو عمر بن الوليد بن عبد المالك، وانظر رسالة عمر بن عبد العزيز له في كتب الأخبار والتاريخ والقصة طويلة، أنظر: ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه مالك وأصحابه، ط 4، المكتبة العربية، دمشق، 1385 هـ - 1966 م، ص - ص 149 - 151. وانظر نص الرسالة في: ابن الجوزي سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 1404 هـ / 1984 م، ص 134.

البطان ورد الفيء إلى أهله لأتفرغن لك ولأهل بيتك حتى أدمهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق و أخذتم في بنيات الطريق"<sup>1</sup>.

أن هذا الإسهاب من محمد بن عبد الوهاب في إنكار المنكرات المتفشية في الأوساط النجدية يعكس مدى انحراف المجتمع وخروجه عن القوانين الإلهية والعرفية، ويعكس مدى حرصه على اقتلاع أصول الاجتماعي الذي هشم جسم الأمة، وتركها بين أحضان حكام وعلماء سوء، أجازوا للناس المحرمات وفتحوا المجال للعوام ليتجرؤوا على الشريعة وأحكامها بالتحايل والانحراف.

وبالتالي ندرك خطورة الفساد الذي صار جزء لا يتجزأ من الحياة العامة في (نجد)، كما يتبين لنا أن الانحراف لم يقتصر على المسائل المتعلقة بالتوحيد والعبادة، بل تجاوز ذلك إلى المعاملات والحكام والقضاة والمفتين والفقهاء، وعليه نستنتج لأن محاولة حصر حركة ابن عبد الوهاب في جانب إنكار الشرك والبدع والدعوة إلى التوحيد فهو قاصر وغير صائب، ولعل هذا ناتج عن سوء فهم حركة الشيخ أو عدم الاطلاع على تراثه العلمي المنشور، أو نتيجة القراءات الضيقة والمأخوذة من خصوم الحركة الوهابية الذين سلكوا مسلك تجزئي في تناولهم للفكر الوهابي، لأغراض كثيرة ومتباينة، ومنها التشويه والتحريف، والتدليس وغيرها من الأغراض.

والحاصل أن محمد بن عبد الوهاب كان دائماً يلجأ إلى الكتاب والسنة وأقوال السلف والفطر السليمة والعقول الصحيحة في تحريم هذه المنكرات وبيان قبحها وأثرها على المجتمع، وصنيعه هذا هو نوع العمل على إيجاد توازن اجتماعي وعدالة بين أفراد الأمة ولأن انتشار هذه المظاهر هو دليل التخلف والانحطاط، فلذا كان إصلاحه شاملاً ومتكاملاً شمل كل جوانب المجتمع وأمراضه.

<sup>1</sup> أنظر محمد بن عبد الوهاب، فتاوى ومسائل، ص 19.

ج) موقفه من المخالفات والمنكرات:

إن اظهر وصف التصق الحركة الوهابية هي أنها حركة علمية و أعظم ما امتازت به أنها زاوجت بين الدعوة النظرية والإنكار باليد فقد عرفنا من سيرة المصلح النجدي أنه كان أمارا بالمعروف نهاءً عن المنكر منذ بداية حركته بل وقبل إظهار دعوته والتقاءه واحتمائه بمحمد بن سعود الذي احتضن دعوته وأيده، فقد رحلته العلمية ينكر ما يشاهد من مخالفات متعلقة بالتوحيد والشرك وسبب له ذلك متاعب كثيرة فهي صفة متميزة عن غيره من المصلحين الذين وقفوا عند حدود الإنكار باللسان والقلم كما هو الحال هو عند أمامنا ابن باديس - رحمه الله - .

إننا نعترف أن عنصر الحركية في دعوته الشيخ كان هو إحدى الخصائص فازت به في دعوته التي امتازت به دعوته عن باقي الحركات الإصلاحية فيما بعد، وهو الأمر الذي جلب لها انتقادات كبيرة من أصحاب المصالح وزعماء القبائل سياسة في ذلك الوقت وبعده. إن أبرز ما نمثل به في سياق حديثنا ما قام به محمد بن عبد الوهاب من تلطخت بالمعصية واقررت ذنبا كبيرا فوقع في الزنا وهي محصنة، حيث جاءته امرأة معترفة بذنبها وتكرر منها الإقرار، يصف ذلك المؤرخ النجدي بشار الحادثة بقوله: "أنت امرأة الى الشيخ واعترفت عنده بالزنا والإحصان، وتكرر منها الإقرار فسأل عن عقلها فإذا هي صحيحة العقل وقال لعلك مغصوبة فأقرت اعترفت بما يوجب عليها الرجم فأمر بها فرجمت"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ابن بشر، عنوان المجلد في تاريخ نجد، ج1، ط1، تح: عبد الرحمان بن عبد اللطيف 290-بين عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز الرياض، 1402هـ/1982م. ج1، ص 39.

وأول من قام برسمها أمير العيينة عثمان بن معمر نفسه<sup>1</sup>، فلما ماتت أمر الشيخ ان يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها كما ذكر ابن غنام<sup>2</sup>.

وهذه الحادثة في الواقع تركت آثارا واضحة في إقليم (نجد) وسمع بها القاضي والداني، لأن الناس بجهلهم وغربة الدين عندهم لم يألفوا تنفيذ الحدود وإقامة الشرائع<sup>3</sup>. فكثرت أقاويل أهل البدع والضلال، وطارت قلوبهم خوفا وفزعا، وانخلعت ألبابهم رهبا وجزعا، وتناولت ألسنة العلماء عليه، ينكرون ما فعل مع أنه لم يعد الحكم المشروع بالسنة والإجماع<sup>4</sup>.

ويمكن القول أن هذه المرأة التي جاءت تتوب وتستشهد حسب المفكر جلال كشك بأقصى عقوبة فرضت على الانسان تعكس حالة الوجد الاستشهادي التي أطلقها محمد بن عبد الوهاب في البدو والتي تفسر فتوحاتهم، فحكاية المرأة الخاطئة لا ينبغي أن تفهم فهما سطحيا أو أنها مجرد حادثه معزولة، بل هي مؤشر لإيمان الرجل المتطهر، الذي صنعته دعوة الشيخ.

<sup>1</sup> عثمان بن معمر من بني سعد من تميم تولى في بلدة العيينة بعدما قتل أخوه محمد بن حمد الملقب الخراش سنة 1142 هـ، وعثمان هو جد الإمام سعود لأمه على رواية المؤرخ عثمان بن يسر في النسخ المطبوعة المتداولة، ينظر: ابن بشر: ج1، مصدر سابق، ص38.

<sup>2</sup> الحقيقة أن الأمر الذي يجب أن نقف عنده والذي يستحق التعليق، هو أن حوادث الرجم، تكاد تكون مشابهة في التاريخ الإسلامي، أي اعتراف خاطئ أو خاطئة من ولي الأمر، وقد قيل إن حكم الرجم في الإسلام هو من العقوبات النظرية لاستحالة تطبيقه بالشروط التي وضعها العدل الإسلامي، وأهمها شهادة أربعة عدول بأنهم راو فعل الزنا وضوح كامل كما هو مبين في كتب الفقه، ينظر: كشك جلال، مرجع سابق، ص 111.

<sup>3</sup> بل الأمر أبعد من ذلك، فإن الضجة التي وقعت إثر هذه الحادثة من قبل حكام الأقاليم كحكام بني خالد بالإحساء. لم تكن ناتجة عن معارضة الحكم من الأحكام الشرعية، بل لسببين: الأول: إقدام الشيخ على ممارسة ما يعتبر من سلطة القائم بالأمر وهو تطبيق الحدود في الكبائر والثاني: هو ما عبرت عنه الحادثة من إيمان العامة بل والخاصة بمكانة الشيخ كالسلطة، سواء باعتراف المرأة له، وطلبا للتوبة على يده، وقبول أهل البلدة بما فيهم الأمير بأن يتولى الشيخ تنفيذ العقوبة، ينظر: كشك جلال: مرجع سابق، ص 111-112.

<sup>4</sup> ابن غنام، مرجع سابق، ص 86.

فانطلق يطوي الصحراء لإعادة الناس إلى الدين الحق، فلا يجوز أن تقف العين العاجزة عند قسوة العقوبة، فالشيخ اقتداء بالرسول الله استخدم مع كل الدفوع القانونية لوقف التنفيذ، أو دفعها لسحب اعترافها ولكن جذوة الايمان التي أطلقها في نفس الخاطئة، كانت أقوى حتى من رحمته الإسلامية.<sup>1</sup>

وهكذا كان محمد بن عبد الوهاب وهو القاضي ينفذ الحدود وينكر المنكرات باللسان واليد حسب الضوابط الشرعية، مع مراعاة الجانب المقاصدي في ذلك، ولأنه كان منصوراً مؤيداً بالسلطة الزمنية، فهو يمثل في الدولة السعودية قاضي القضاة، فقط كان يسهر على تطهير المجتمع من المخالفات الشرعية والسلوكات غير الأخلاقية، إما بالإرشاد والبيان والنصح، وإما بالقوة، لأنه يملك صلاحيات تنفيذ الحدود وتغيير المنكر من منطلق مسؤولياته في الدولة السعودية، وكان أيضاً يحرص على مدى تطبيق الأحكام الشرعية عند القضاة الذين كان يعينهم على الأقاليم والمدن التابعة للدولة، ما يعني أن المصلح النجدي كان يؤدي دور السلطة التنفيذية وهي إحدى المفارقات الواضحة بينه وبين ابن باديس، الذي بقي داعياً بالقلم واللسان والوعظ والإرشاد والتذكير، لأن حاله تختلف تماماً عن حال محمد بن عبد الوهاب.

إن عبد الحميد بن باديس كان يعيش تحت مظلة الاحتلال الفرنسي الذي حكم السيطرة على كل المؤسسات والقطاعات في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية وغيرها، فلم يكن بإمكان مصلحنا ابن باديس الاستقلال بأرائه تغيير المنكرات ومظاهر الفساد الاجتماعي بيده، العربي ولأن ابن باديس كان عالماً بمقاصد الدين وضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد اكتفى بالبيان والإيضاح والترغيب والترهيب وبيان سوء عاقبة المنكرات وآثارها على الفرد والمجتمع والأمة، في ذلك إلى حد كبير.

<sup>1</sup> كشك جلال، مرجع سابق، ص 111.

والحاصل أن محمد بن عبد الوهاب استطاع أن يقيم الحق والعدل الفساد الاجتماعي الذي هز أركان الأمة وأفسد دينها ودنياها، فاستقامت الأمور ورجع الناس الى عقولهم وفطرهم، وطلق العوائد التي كانوا يتعاطونها وانساقوا الى الشرع واذعنوا له وسادة الرخاء والأمن البلاد والعباد.

### خلاصة الفصل الأول:

من خلال ما سبق عرضه في هذا الفصل نجد أن محمد عبد الوهاب اختار المنهج النبوي في الإصلاح الاجتماعي، ولجأ إلى منهج التصفية والتربية، لأن المجتمع النجدي كان متشعباً بما ورثه من فساد ديني وأخلاقي وسلوكي، وكان العلاج الأنجع هو تفرغ هذا الفرد من رواسب الموروث الفاسد وتحليلته بالتصور الصحيح والسلوك الحسن، وهذه المنهجية الإصلاحية طبقها ابن باديس في منهجه الإصلاحية بكل دقة ووضوح، بل إنه في أكثر من مرة صرح أن طريق التخلية والتحلية هو طريقة ومنهجه في الإصلاح العام الديني والاجتماعي، وعليه فإن اتفاق المصلحين في المنهج ليس من قبيل تأثير اللاحق بالسابق وإنما هو إحياء للمنهج النبوي وتطبيق لتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة والإرشاد، وقد نجح الرجلان في هذه الخطة الإصلاحية وإن كان محمد عبد الوهاب متقدماً على ابن باديس في الناحية العلمية كما أشرنا سابقاً.

## الفصل الثاني:

الإصلاح الاجتماعي عند عبد الحميد بن باديس

المبحث الأول: عبد الحميد بن باديس نسبه، ولادته، نشأته.

المبحث الثاني: منهج ابن باديس في الإصلاح الاجتماعي.

المبحث الثالث: محاربة الفساد الاجتماعي عند عبد الحميد ابن باديس.

إن الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، وقف حياته كلها لخدمة وطنه ولغته ودينه، حيث قاد نهضة إصلاحية تجديدية كانت ثمرتها تحرير الفكر وإنارته وإعداده لتحرير الوطن واستقلاله، ذلك الرجل الذي كان مثالاً للزعامة الروحية والقيادة السديدة وظهر ظهور الدين على الإفك والشرك والشعوذة والتدجيل، كان مصلحاً للأحوال الدنيئة في الجزائر، وتمثلت في دعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

**المبحث الأول: عبد الحميد بن باديس نسبه، ولادته، نشأته**

**المطلب الأول: مولده ونشأته**

ولد عبد الحميد بن باديس محمد المصطفى بن الشيخ المكي بن باديس بقسنطينة يوم الخامس من ديسمبر 1889م الموافق لمنتصف ربيع الثاني لعام 1308هـ، أمه هي السيدة زهيرة بنت علي بن جلول من أسرة عبد الجليل الشهيرة في قسنطينة<sup>1</sup>، ووالده هو السيد مصطفى بن مكي بن باديس من حملة القرآن الكريم، ومن أعيان مدينة قسنطينة وقد كان عضواً بالمجلس الجزائري الأعلى والمجلس العمالي لعمالة قسنطينة نائباً عن قسنطينة وقد عرف دائماً بدفاعه عن دعم مطالب السكان المسلمين بالعمالة القسنطينية<sup>2</sup>.

ولكن تاريخ الأسرة القريب لم يبد مشرفاً في نظر بعض المؤرخين لارتباط والد الشيخ عبد الحميد بالحكومة الفرنسية بعمله في النيابة المالية التي كانت من أرفع المناصب التي يمكن أن ينالها جزائري في ذلك الوقت<sup>3</sup>، بيد أننا نجد الشيخ ابن باديس يذكر فضل والده عليه وتوجيهه إلى الدراسة الدينية ورعايته له في الحفل الذي أقيم في قسنطينة بمناسبة ختم الشيخ ابن باديس تفسير القرآن الكريم حيث قال: (إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشرباً أردته وقاتني وأعاشني ويرانني كالسهم وراشني

<sup>1</sup> عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، الجزائر، 1998، ص26.

<sup>2</sup> تركي رابح عامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤساؤها الثلاثة، والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004، ص123.

<sup>3</sup> المدني أحمد توفيق، حياة كفاف-القسم الثاني، ص: 179 وما بعدها.

وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا وكفاني كلف الحياة... فلأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر ولأكل ما عجزت عنه من ذلك لله الذي لا يضيع أجر المحسنين)<sup>1</sup>.

ويمكن القول أن محمد بن عبد الوهاب وعبد الحميد بن باديس يلتقيان في كثير من الخصائص الاجتماعية والنفسية، فلقد ولد الشيخان في أسرتين علميتين مشهورتين، فابن عبد الوهاب احتضنه أباه ورعاه ووفر له سبل العلم وتحصيله وكفاه مؤونة المعيشة، مما جعل الرجل يفجر طاقاته في التفرغ للعلم والنظر فيه، كما أن ابن باديس وجد عناية خاصة من أسرته ذات الثراء والمكانة، فنشأ نشأة علمية خالصة وقد ظلت أسرته تحفظه وتكفؤه وتحيطه بالرعاية الخاصة حتى أمام فرنسا الاستعمارية.

كما أنهما يشتركان في بعض الخصائص النفسية المتجلية في تلك الاستعدادات الفطرية التي ظهرت عند المصلحين منذ صغرهما وهما يعيشان وضعا متقاربا دينيا واجتماعيا وقد شعرا بالمسؤولية الخلقية والاجتماعية تجاه مجتمعهما، فراحا يبحثان عن الحل وأي حل؟ إنه حل لقضية أمة أضحت أضحوكة الأمم بعدما كانت سيدة الأمم.

ويختلفان في كون الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد ونشأ في أسرة متحررة غير خاضعة لسلطة أجنبية استعمارية، بخلاف عبد الحميد بن باديس الذي فتح عيناه على دولة استعمارية نشأ تحت سلطتها وقوانينها ، إضافة إلى أن أسرته كانت عائلة مشاركة في الحكم المحلي لمدينة قسنطينة، أو بمعنى آخر فإن أسرته كانت مساندة للاستعمار وتسيير شؤون البلاد وهنا قد تتجلى بعض الفروق النفسية وتتفاوت بين محمد عبد الوهاب وابن باديس، فهذا الأخير قد شعر بالمسؤولية المضاعفة اتجاه مجتمعه من جهتين: من جهة الوضع السياسي الذي تعيشه البلاد ومن جهة التخلف والسقوط القيمي والانحراف العقدي الذي يسيطر على المجتمع الجزائري.

<sup>1</sup> الشهاب، ج ع م ع 1، ربيع الثاني/جمادى الأولى 1257، يونيو / يولييه 1938.

نشأته وتكوينه العلمي:

### المرحلة الأولى: تعليمه الأول (1889-1908)

حفظ ابن باديس القرآن على الشيخ محمد المداسي وختم حفزه في السنة الثالثة عشرة من عمره ومن شدة اعجاب الشيخ بذكائه وسيرته الطيبة قدمه ليؤم الناس في صلاة التراويح بالجامع الكبير ولمدة ثلاث سنوات متتابعة<sup>1</sup>.

وفي سنة 1903 دخل الشاب ابن باديس في طور جديد من أطوار دراسته فخيره والده بين أن يسلك طريق أجداده أو طريقاً آخر فاختر طريق سلفه وهو طريق العلم والجهاد، فاختر له أبوه أحد الشيوخ الصالحين من ذوي العلوم الإسلامية والعربية.

وهو أحمد أبو حمدان الونيسي الذي كان منتمياً إلى الطريقة التيجانية سالكا منها فأخذ يعلمه بجامع سيدي محمد النجار مبادئ العربية والعلوم الإسلامية ويوجهه وجهة علمية أخلاقية، ثم هاجر حمدان الونيسي إلى المدينة المنورة وبقي فيها إلى توفاه الله<sup>2</sup>.

وحين بلغ ابن باديس الخامسة عشر من عمره 1904 تزوج والده وأجب والدا أسماه عبده إسماعيل 1337هـ، حفظ القرآن وحضر العلم<sup>3</sup>، توفي وعمره 17 عام وبعدها لم يعقب.

### المرحلة الثانية: تعليمه العالي (1908-1913)

في هذه السنة بدأت همة ابن باديس تتطلع الى السفر لطلب العلم اقتداء بعلماء السلف والخلف الذين تجرعوا مرارة المعاناة من أجل تحصيل العلم النافع وقد سافر ابن باديس الشاب إلى مدينة تونس وعمره وقتذاك تسعة عشر عاماً وانتسب إلى جامع الزيتونة، وعرف في دراسته بالجد والنشاط فأخذ يتلقى الثقافة الإسلامية العربية ويأخذ عن جماعة من أكابر علماء الزيتونة أمثال

<sup>1</sup> الصلابي علي محمد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 2016، ص:101.

<sup>2</sup> الطالب، ابن باديس، حياته وآثاره، ج1، ص:74.

<sup>3</sup> ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتاب العلمية، ط1، 1995، ص:6.

وهناك "العلامة المفكر محمد النجلي القيرواني(ت 1924م) والشيخ محمد الطاهر النيقر(ت 1938م) والأستاذ بشير صفر(ت1917م)، والأستاذ أبي محمد بلحسن ابن الشيخ المفتي محمد النجار(ت1953م)، وغيرهم كثير<sup>1</sup> وتخرج بشهادة عالمية في سنة (1911-1912) وعمره ثلاث وعشرون سنة، ودرس سنة واحدة في جامع الزيتونة على عادة المتخرجين في ذلك الوقت<sup>2</sup> وفي عام 1913 عاد ابن باديس من تونس إلى مسقط رأسه بقسنطينة في الشرق الجزائري، وفي السنة نفسها اشتاق لرؤية بيت الله الحرام وزيارة أقطار المشرق العربي، فزار المدينة المنورة ومكث فيها ثلاث أشهر ألقى فيها دروسا عديدة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>3</sup> وخلال زيارته للمدينة المنورة زار أستاذه المهاجر حمدان الونيسي، وكما التقى بالشيخ محمد البشير الابراهيمي وتدارس معه وضعية الجزائر وضرورة انشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وإن تأخر انشاؤها حتى سنة 1931م لأسباب تتعلق بالتوقيت وتحين الفرص المتاحة.

أيضا زار ابن باديس لبنان وسوريا ومصر وفي طريق عودته أجازه الشيخ محمد بخيث المطيعي(ت1935) وهو من كبار علماء الأزهر بشهادة العالمية من الأزهر الشريف<sup>4</sup> وقد أتاحت هذه الرحلات لابن باديس فرصة كبيرة لتقوية معارفه وتوسيع مداركه واطلاعه على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة في العالم الإسلامي آنذاك.

### المرحلة الثالثة: أسفاره ورحلاته

عرفت تنقلات ابن باديس في ربوع الوطن الجزائري إتفاف الناس حوله يسألونه ويستمعون إليه بذلة المحب للعلم والعلماء ومثل هذا المظهر الذي رآه ابن باديس في قلوب عامة الجزائريين من تعظيم للعلم وانقياد لأهله زاده صلابة وعزيمة وتوكلا على الله في مواصلة تكوينه العلمي الذي

<sup>1</sup> الطالب، ابن باديس حياته وآثاره، ج1، ص75.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 76.

<sup>3</sup> الشيخ رابح، ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة، ص25-29.

<sup>4</sup> ابن باديس، في مجالس التنكير من كلام الحكيم الخبير، ص07.

لم ينته بمجرد جلوسه بين يدي مشايخه وحصوله على الشهادة العالمية وإنما العلم يتحقق بالتعلم والتمرس ونماؤه يكون بتعليمه والعمل به وكل ذلك تحقق لابن باديس<sup>1</sup>.

فقد كانت رحلات ابن باديس وأسفاره سببا في استكمال مرحلة تكوينه العلمي فقد أتاحت لابن باديس فرصة الاطلاع على أحوال المواطنين الجزائريين والتعرف على نشاط التصير، ونشر الثقافة الفرنسية في بعض جهات الوطن فضلا عن مقابلة بعض شيوخ الطرق الصوفية ومحاورتهم ودعوتهم لحسم النزاع بالرجوع إلى الكتاب والسنة، كل هذا وغيره من الأسباب جعلت ابن باديس يخصص جزءا من وقته-رغم كثرة انشغالاته-للمطالعة والبحث والتنقيب، أملا منه أن يضع حدا مناسبا لمشاكل الأمة الرئيسية وحرصا منه على خدمة الإسلام والعربية، وأن هذه الرحلات لم تكن وسيلة من وسائل الإصلاح العام والدعوة الاسلامية فقط بل أسهمت أيضا هذه الرحلات المكثفة في التكوين العلمي والمعرفي لابن باديس.

فقد كان ابن باديس في رحلاته يقوم أولا بزيارة مساجد الريف الجزائري باعتبارها مراكز إشعاع علمي؛ ولأن الابتداء بزيارة المسجد يعد سنة وذلك عملا بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه أن كعب بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: نسبه

هو عبد الحميد بن محمد بن مصطفى بن مكي بن باديس، أمه السيدة زهرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول من عائلة اشتهرت بالتدين والإقبال على العلم<sup>3</sup>، ينحدر من عائلة فاضلة عريقة في النسب ومعروفة في الجزائر والمغرب العربي، تنتمي إلى الطريقة القادرية، اشتهرت بالرسوخ في العلم والنفوذ في السلطة والثراء العريض، نبغ منها شخصيات تاريخية كالمعز لدين

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص8.

<sup>2</sup> البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 2002) كتاب الصلاة، باب الصلاة إذا قدم من سفر، مج1، ص113-

<sup>3</sup> بوصفصاف عبد الكريم، رواد النهضة الفكرية والتجديد في الجزائر 1889\_1965، الجزائر، دار الهدى ط، 2007، ص18.

الله بن باديس أشهر ملوك الدولة الصنهاجية الذي حكم إفريقيا والمغرب الأوسط ربحا من الزمن وحارب فيها الشيعة الرافضة.

كما نبغ منها شخصيات شغلت مناصب عليا في الحكومة الفرنسية مثل عمه إحميدة بن باديس ووالده مصطفى بن مكي الذي كان يتولى عدة مناصب سياسية عليا عضو بالمجلس الجزائري الأعلى والمجلس العمالي بقسنطينة<sup>1</sup>، مما جعله في مأمن من المضايقات الإدارية، أما من الناحية العلمية فنجد كلا من أبي حميدة العباسي ومكي بن باديس اللذان عملا في القضاء ويحدثنا زميله محمد البشير الإبراهيمي عن نسبه المتأصل فيقول: وبيت ابن باديس في قسنطينة بيت عريق في السؤد والعلم، ينتهي نسبه في سلسلة كعمود الصبح إلى العز ابن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان ومدت ظلها على شرف الجزائر حينما من الدهر.

وقد أشاد ابن باديس بانتمائه إلى هذه الأسرة العريقة النسب والمحبة للدين والعلم والتي نشأ فيها وترى فيها وباهتمام والد الذي أبى إلا أن ينشئه في بيئة عربية إسلامية ويربيه تربية صالحة ويوجهه وجهة دينية سليمة بعيدة عن التعليم الرسمي الفرنسي ملقنا إياه مبادئ القراءة والكتابة على الطريقة التقليدية.

### المطلب الثالث: وفاته

توفي ابن باديس (رحمه الله) مساء يوم الثلاثاء (1 ربيع الأول 1359هـ: 16 أبريل 1940) إثر تعرضه لمرض مفاجئ قصير، لم يمهل، فنعتة الجزائر كلها وحزن على فقده محبوه وعارفو فضله ومكانته في العالمين الغربي والإسلامي ودفن في مسقط رأسه مدينة قسنطينة، لتخرج جماهيرها عن بكرة أبيها في ودائعه وفيه رائد ومصلح عظيم ومعلم ومرّب وداع حكيم، ستبقى ذكراه معاني تستلهم لحاضر ومستقبل أجيالنا وشباب أمتنا الناهض ورصيد قوة عندها العالمية.

<sup>1</sup> تركي رابح، الشيخ ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 2001، ص154.

توفي الشيخ بن باديس في مسقط رأسه بمدينة قسنطينة التي اتخذها في حياته مركزا لنشاطه التربوي والإصلاحي والسياسي والصحافي، وفي يوم تشييع جنازته إلى المقبرة خرجت مدينة قسنطينة على بكرة أبيها كلها تودعه الوداع الأخير كما حضرت وفود عديدة من مختلف جهات القطر الجزائري للمشاركة في تشييع الجنازة ودفن في مقبرة آل باديس الخاصة في مدينة قسنطينة<sup>1</sup>.

وقال الشيخ العربي التبسي في تأبينه "لقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس في جهاده وأعماله هو الجزائر كلها فلتجتهد الجزائر بعد وفاته أن تكون هي الشيخ عبد الحميد بن باديس وقال شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة:

يا قبر طبت وطاب فيك عبير ... \* ... هل أنت بالضيف العزيز خبير؟

هذا (ابن باديس) الامام المرتضى ... \* ... (عبد الحميد) الى حماك يصير

العالم الفذ الذي لعلومه ... \* ... صيت بأطراف البلاد كبير

بعث الجزائر بعد طول سباتها ... \* ... فالشعب فيها بالحياة بصير

وأرسل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إثر هذا المصاب من منفاه بأفلو إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني رسالة جاء فيها الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني: اعتقد أن الراحل أخي العزيز لم يكن لأحد دون أحد بل كان كالشمس لجميع الناس واعتقد أن فقده لا يحزن قريبا دون بعيد وأن أوفر الناس حضا من الأسى لهذا الخطب هم أعرف الناس بقيمة الفقيد وبقيمة الخسارة بفقده للعلم والإسلام للجزائر وحدها، فلهذا بعثت أعزيكم على فقد ذلك البحر الذي غاض بعد أن أفاض ببقاء آثاره في الحياض وأنهاره في الرياض كما يعزي على مغيب الشمس بشفقها وعلى ذبول غضارة الشباب ببقاء رونقها وإن كانت التعازي تعاليل لا تطفئ الغليل، ولكنها على كل حال تحمل بعض الروح من كيد تنلطي شجنا إلى كبد تنتزي حزننا<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مقبل فهمي توفيق، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1308\_1309).

<sup>2</sup> مقبل فهمي توفيق مرجع سابق،

وظني في أخي أندلو كان يعرف عنواني لكان أول معز لأول معزى.

اليوم الوطني يوم العلم يحتفل به الجزائريون على شرف ابن باديس كل 16 أبريل.

### المبحث الثاني: منهج ابن باديس في الإصلاح الاجتماعي

رأى ابن باديس أن إصلاح المجتمعات ينطلق من إصلاح الأفراد داخليا إصلاحا بناءً كي ينعكس ذلك إيجابا على سيرته وسلوكه لأن صلاح النفس هو صلاح الفرد، والإصلاح يبدأ من تصفية العقائد من مظاهر الشرك والبدع وتخليه الفرد من الأخلاق المذمومة والعوائد الفاسدة الذي اكتسبها من الاستعمار الفرنسي ثم التربية المبنية على الإيمان والتقوى والعقائد الحقة والسلوكات الإسلامية المتينة وقوم الشيخ ابن باديس الأخلاق ودعا إلى الإتحاد ونبذ التفرقة.

### المطلب الأول: التخلي والتولية

لقد فتح ابن باديس عينه على وضع سيء في جميع مجلاته فقد كان الاستعمار الفرنسي يسعى منذ أن حط رحاله في أرض الجزائر إلى صياغة نظام جديد وثقافة جديدة تتماشى والتقاليد الأوربية وهذا لتحقيق المشروع الاستعماري وأعظم شيء كان يعانيه الجزائريون هو تعرضهم لعملية المسخ الثقافي الذي استهدف العقيدة الإسلامية ومقومات الشخصية الوطنية، وكانت الأساليب متنوعة ومتباينة وكلها لخدمة السياسة الفرنسية.

إن الفرد الجزائري مطلع القرن العشرين كان يعيش في تناقضات واضحة وكانت الذهنية السائدة آنذاك تنبئ عن وضع كارثي بسبب الجهل وضعف الوعي والانهازم النفسي الذي أصاب الجزائريين بسبب الهزائم المتتالية التي تكبدتها المقاومة المسلحة وبالتالي فإن أي إصلاح لا يستهدف هدم هذا الموروث وتفريغ الفرد الجزائري من هذا الإرث وإعادة عملية البناء وفق منظور عقدي واجتماعي وسياسي نابع من الذات سيكون مضيعة للجهود، ولقد حمل ابن باديس على عاتقه مسؤولية عظيمة حملت في طياتها بوادر ثورة حقيقية في جميع المجالات وقد أنصب جهده

على الفرد الجزائري عن طريق الدعوة والتعليم وهدم العقائد الفاسدة والأفكار الهدامة وتصحيح المفاهيم، وتصويب السلوكات الإنسانية ورد كل ما ينافي التمدن والحضارة<sup>1</sup>.

لقد كان ابن باديس عبقرية في التعامل مع الواقع المفروض عليه فرضاً وأظهر من الشجاعة والحكمة والجرأة ما استطاع أن يصل إلى قلوب الجزائريين وأن يشككهم في عقائدهم الفاسدة وكان مسلكه تربوي خالص ركز من خلاله على تلقين شباب الجزائر وكهولهم على فكرة السببية التي تنافي عقيدة التواكل وترك الأسباب، فنقطة البدء في الإصلاح هي تطهير العقائد من الشرك والأخلاق من الفساد حتى تصلح النفوس من هذا الطريق، لأن إصلاح النفوس من باطنها وتطهيرها من أدران الجهل هو حجر الأساس الذي تقوم عليه نهضة المجتمع<sup>2</sup> حيث يقول: "أن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق فالباطن أساس الظاهر"<sup>3</sup> وهذا ما نعني بالتخلية أو التصفية\*، تصفية العقائد من مظاهر الشرك والبدع وتخلية الفرد من الأخلاق المذمومة والعوائد الفاسدة، ثم تأتي التربية المبنية على الإيمان والتقوى والعقائد الحقة والسلوكات الإسلامية المتينة<sup>4</sup> وهذا مانعني به بالتخلية وهذا المنهج منهج بنوي في جوهره وحقيقته فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفرغ صحابته من لوثات الوثنية وعادات الجاهلية ويحليهم بالتوحيد الخالص والأخلاق الفاضلة وكذلك كان المصلح الجزائري الذي وضع خطة بيداغوجية تركز على تصفية عقيدة الجزائريين من خرافات وبدع الطرقيين الذين أفسدوا الدين والدنيا ولوثوا حياة الجزائريين بطقوسهم البدعية وعاداتهم الجاهلية كما جهد في تطهير القلوب وصقلها بالإيمان الصحيح والتقوى لأن صلاح القلوب أساس صلاح الأبدان .

إن المتأمل في فكر ابن باديس يرى أنه يركز في أسسه وموضوعه وأهدافه على مبادئ الشريعة الإسلامية وقيمها ومصادرها لان الانسان في رأي ابن باديس يحتاج دائماً الى الرجوع الى الكتاب

<sup>1</sup> مرغيث محمد، قضايا الحركة الإصلاحية عند محمد بن عبد الوهاب وعبد الحميد بن باديس، مذكرة دكتوراه، جامعة قسنطينة كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2013-2014، ص:

<sup>2</sup> بوصفصاف عبد الكريم، مرجع سابق، ج1، ص329.

<sup>3</sup> تفسير ابن باديس، ج1، مصدر سابق، ص 368.

\*أوردنا هذا المصطلح لأن الشيخ ابن باديس وظفه في كتاباته خاصة في التفسير.

<sup>4</sup> تفسير ابن باديس، ج1، مصدر سابق، ص117.

والسنة حيث يقول "فالعبد محتاج دائما الى الرجوع الى الكتاب وما يثبت من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ليهتدي إلى ما يرضي الله مما شرعه له من أقواله وأفعاله".

فالمناهجية الباديسية لا تخرج عن إطار الدين الحنيف في رسم طريق الإصلاح لأن التصفية الفكرية والعقدية والخلقية التي انتهجها ابن هي في الحقيقة إعداد المحل الذي سوف يكون هدفا للبناء أي بناء المسلم الجزائري وفق ما تقتضيه عقائد الإسلام وأخلاقه.

والغرض من ذلك الرجوع بالفرد إلى فطرته السليمة وطبيعته الاصلية وأهم حقيقة وجه ابن باديس عنايته واهتمامه مسألة البناء الفردي أي بناء الفرد وتكوين شخصيته تكوينا سليما من النواحي الأخلاقية والروحية والتربوية ولا يتم ذلك إلا بالتهيئة النفسانية التي تستجيب لداعي التغيير وتتساق دون عناء الى تقبل الأفكار الصحيحة والأخلاق السامية ومن تم فإعداد الفرد إعدادا متينا يستوجب تصفيته من رواسب الموروثات الفاسدة والعقائد المنحرفة وقد استفرح ابن باديس جهده في تهيئة المرء الجزائري لتحمل مسؤوليته في مواجهة التحديات التي كانت تواجهه من سيف الجور المسلط على رأسه من قبل الاستعمار ومن ظاهرة الطرقية التي أفسدت الدين والدنيا وأعانت المستعمر على تحقيق أهدافه، وبالتالي كان ابن باديس أن يواجه الجيشين وهذه احدى المفارقات بينه وبين ابن عبد الوهاب.

هذا الأخير الذي وجه جهوده لتطهير الإسلام من عقائد فاسدة وبدع محدثة وكان مدعما من السلطة الزمنية التي تنبت دعوته وأزرتة في مقارعة خصومه بل واعانته في تكوين جيل على قواعد وأصول فكره بينما ابن باديس كان يجاهد على جبهتين لا تقل احداهما عن الأخرى ومن تم تظهر أصالة فكر ابن باديس وشموليته وحسن اختياره الدواء المناسب ونعتقد أن الرجل كان عصريا في تفكيره وظف أساليب العصر إلى جانب المنهج الإسلامي القائم على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وهذا الطريق هو طريق السلفية المعاصرة التي ساهم ابن باديس في تجديدها أو بالأحرى يمكن اعتبار ابن باديس مجدد الدعوة السلفية في المغرب العربي وباعث النهضة الإسلامية فيها وهذه النزعة الإصلاحية هي التي أهلتها لأن يكون ضمن قائمة الأعلام المجددين في هذا العصر.

إن النجاح الذي حققه ابن باديس في تكوين جيل يعتز بإسلامه وعرويته ووطنه لم يكن لينجح إلا عن طريق الإعداد النفسي والعقدي والخلقي الذي قاوم به أعداء الإصلاح الذين تتكبوا الطريق وعارضوه بكل الوسائل لإفشال مشروعه النهضوي، وجملة القول أن محمد بن عبد الوهاب وابن باديس اتفقا على أن منهج التصفية والتربية هو المنهج الأمثل للنهوض بالمسلمين من تخلفهم وانحطاطهم، وهو اتفاق مبني على الرجوع بالأمة إلى منهج بينها في الإصلاح والدعوة والإرشاد لأن تطهير العقائد والأخلاق وتصفيتهما من أدران الانحراف والفساد هو أول مهمة بل هو مطلب شرعي ومقصد ديني وعلى هذا الأساس يمكن بناء الفرد المسلم الحقيقي على العقائد الحقة والسلوكات الصحيحة القويمة وهذا البناء هو قاعدة المجتمع الإسلامي المنشود والمأمول.

وقد نجح المصلحان في تنفيذ هذا المشروع وتحقيق أهدافهما كل على حسب الظروف السائدة في موطنه فاذا كان ابن عبد الوهاب قد استطاع ان يكون مجتمعا في قاعدة الدرعية عاصمة الدولة السعودية على أساس متين، وكان هذا المجتمع هو أساس الدولة السعودية المعاصرة التي مرت بتحديات كبيرة فان ابن باديس استطاع ان يكون رجالا وجيلا كانوا في مقدمة الكتائب التي حررت البلاد من طغيان الاستعمار وجبروت الاستبداد وقادو معارك فاضلة بعقيدة راسخة ومبادئ ثابتة حتى استرجعت الجزائر استقلالها وحريتها<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: تقويم الأخلاق

كان ابن باديس -رحمه الله- يمازح في حركته بين الجانب النظري والجانب التطبيقي فقد عرض لنا فكرته الإصلاحية في قالب شمولي انطلاقا من اعتقاده أن نجاح أي مشروع إصلاحي لا يكون إلا بإرساء المعنى الشمولي للإسلام بعيدا عن المنهجية الضيقة التي جزأت الإسلام وحصرت في قضايا عينية متجاهلة شمولية الرسالة المحمدية لكل قضايا المجتمعات الإنسانية والإسلامية خصوصا، لذا فقد اتفقا كل من المصلح النجدي والجزائري على تقريب معنى الإسلام بأسلوب ومنهجية استغراقية تشمل العقائد والسلوك والتربية والسياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق وغير ذلك، وهذا ما جعل من حركتها تسير في أفق عالمي وتستوعب مطالب الأمة الإسلامية

<sup>1</sup>مرغيث محمد، قضايا الحركة الإصلاحية عند محمد بن عبد الوهاب وابن باديس، مرجع سابق، ص:361.

التي كانت تعيش أسوأ فترات حياتها في ظل التخلف الحضاري والسقوط القيمي والانحلال الخلقى<sup>1</sup>.

لقد اهتم ابن باديس بإرساء المعنى الملى للإسلام وحارب كل دعوات التجزئة لمفهوم الإسلام التي تركت آثارا واضحا في القرون المتأخرة على نفسية المسلمين وعقلياتهم وهو ما أدى إلى جهل الناس بحقيقة الإسلام وصورته الصحيحة وإن المستقرء للفكر الباديسي يلمس أن الرجل كان عمليا أكثر من نظريا، فقد عمل على الربط بين العلم والعمل وهي إحدى الميزات والمفارقات البيئية بين دين الإسلام الحق وبين دين اليهود والنصارى.

واعتقد محمد مرغيث أن جوانب العظمة التي ميزت شخصية ابن باديس عن غيره، هو أنه طرق كل أبواب الإصلاح وكان رجلا واقعا خبيرا بشؤون والأمم وأمراضها وسر صلاحها وفسادها وكان الجانب الأخلاقي أحد الركائز الأساسية في المشروع الإصلاحى الباديسى الذي وضع منهجية متينة في إصلاح أخلاق الجزائريين وتهذيبها منطلقا من المنهج الرباني والسلوك النبوي ونموذج السلف الصالح، لأن مصلحنا كان يعتقد اعتقادا جازما أن صلاح الأمم والفرد منوط بصلاح أخلاقها وكأنه يريد أن يقول ما قاله الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق بقيت      فإن هم ذهبوا اخلاقهم ذهبوا

وعبد الحميد بن باديس أراد أن يؤسس لفلسفة الأخلاق انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد سلك في ذلك مسلك التنظير والترتيل، بل نجده يربط بين العلم والأخلاق ربطا تلازميا لتحقيق كمال الإنسان وصلاحه فالعلم الصحيح والخلق المتين هما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال الإنسان والعلم أساس الأخلاق<sup>2</sup>.

إن الإصلاح الخلقى في نظر ابن باديس يبدأ بإصلاح القلب وتطهيره من الأمراض كالعجي والكبد والحسد وغيرها، كما أن صلاح اللسان هو دليل صلاح القلب، لأن اللسان هو أداة

<sup>1</sup> مرغيث محمد، قضايا الحركة الإصلاحية عند محمد بن عبد الوهاب وعبد الحميد بن باديس، مذكرة دكتوراه، جامعة قسنطينة 2 كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2013-2014، ص: 361-362.

<sup>2</sup> تفسير ابن باديس، ج 1، مصدر سابق، ص 275.

البيان وترجمان القلب والوجدان، وإذا قبح كان أثره عميقا وخطيرا على الأفراد والجماعات "ومنها قطع أوامر المحبة والأخوة والبغضاء والنفرة، فالقول الحسن في نظر ابن باديس هو تأديب رباني وهو يستلزم استعمال العقل والرؤية في كل كلمة تقال ولو كلمة واحدة، قرب كلمة واحدة أو قدت حربا وأهدلت شعبا، أو شعوبا، ورب كلمة واحدة أنزلت أمنا وأنقذت أمما أو أمة"<sup>1</sup>.

لم يكن ابن باديس منظرا لهذه الآداب الإسلامية بقدر ما كان مجددا محييا لها داعيا إلى التحلي بالفضائل الإسلامية والأخلاق القرآنية، لأن عصره كان يسبح في ظلام دامس من نقشي الرذيلة وانتشار المعاصي وفساد القلوب، نتيجة الجهل بالإسلام وحقائقه وسيادة الأخلاق الجاهلية الموروثة التي تناقلتها الأجيال، مع تشجيع الاستعمار لهذا الوضع الذي أبقى الفرد الجزائري أسير الشهوات النفسية والجسمية، وجعله يلهث وراء اللذة الزائلة أو محكوم إلى إرث منا في السلوك الحضاري والتمدن البشري<sup>2</sup>.

لقد أفصح عبد الحميد بن باديس عن أهمية هذا الجانب في مواضع عدة، بل كاد أجزم أنه في كل تفسيره أشار من قريب أو بعيد إلى قصية الأخلاق، أحيانا تلميحا أو توجيهيا أو استنباطا وأحيانا تنصيحا وكانت المنهجية المعتمدة هي التربية؛ لأن هذه المسألة قد أخذت حظها من فكر ابن باديس، وربما يمكن القول أنه كان أكثر طرفا لهذا الموضوع من محمد عبد الوهاب الذي طرح الموضوع في قالب شمولي انطلاقا من ترسيخ المعنى العام للإسلام، كما أن نصوص المصلح النجدي في باب الأخلاق أقل بكثير من ابن باديس الذي أفاض في بيان الأخلاق ودورها في البناء الحضاري<sup>3</sup>، ومن المفيد هنا أن نشير إلى بعض النصوص الباديسية التي ضمنها في تفسيره لبعض الآيات وللإشارة فإنه ربط الأخلاق بالأعمال والأقوال ربطا تلازميا، بل كان يرى أن الأعمال تبنى على العقائد والأخلاق، وهذا الذي وجه له الاهتمام ابن باديس يد لنا على أهمية الجانب الخلقي في حياة الأمم والأفراد، "فلا يليق بالمؤمن ولا يشاكره إلا الصدق في القول والعمل والعدل والإحسان والوفاء والأمانة، فلا يظلم من ظلمه، ولا يخون من خانته، ولا يكذب من كذب

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 288.

<sup>2</sup> مرغيث محمد، المرجع السابق، ص: 362.

<sup>3</sup> مرغيث محمد، المرجع السابق، ص: 363.

عليه، فلا تجري أفعاله في مقابلة الناقص على ما يشاكل ذلك الناقص، بل تحرى أفعاله على ما يشاكله هو في إيمانه وكماله"<sup>1</sup>.

إن هذه التوجيهات الأخلاقية لم تكن من تنظير المدارس الفكرية ولا النظريات الفلسفية المعاصرة أو القديمة، بل هي إرشادات قرآنية واستنباطات نبوية وتطبيقات سلفية، وجماع ذلك "هو الرجوع إلى القرآن العظيم والهدي النبوي وسلوك السلف الصالح وهو في نظر ابن باديس دين الإسلام"<sup>2</sup>

إن المرجعية الفكرية في تحديد النزعة الأخلاقية عند مصلحنا ابن باديس هي مرجعية قائمة على المصادر الشرعية والتطبيقات الصحيحة المتجسدة في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والتابعين وتابعيهم، وتأتي هذه النظرة في سياق تقريب وتأكيد المعنى الشمولي للإسلام الذي به نجاة المسلمين وسر تفوقهم وتمدنه، فتطهير العقائد والأخلاق وتهذيب النفس، وإصلاح القلوب والألسن والأفعال كانت غاية ابن باديس الذي أرسى دعائم المجتمع الإسلامي ونظر له، وعمل على تجسيده في واقع كان يئن من فساد المعتقد وانحلال الأخلاق وتفرق وتشردم اجتماعي فضيع.

ولهذا أعتقد أن مشروع ابن باديس الإصلاحية لم يكن سهلا أو بسيطا أو حتى قطريا، لأن أفكاره كانت تخدم المجتمع الإسلامي في ذلك الزمان وقضاياها ولا تزال في رأينا صالحة للمجتمع المعاصر الذي يعيش في زمن العولمة التي قضت على كل التقاليد والأخلاق والحواجر الجغرافية والدينية، بل صارت النظرة المادية للحياة هي أساس هذه الحياة، دون النظر إلى القيم الأخلاقية والاعتبارات الدينية، فأحياء الفكر الباديسي وتبنيه أعتقد أنه يساهم في تصحيح المسار الديني والأخلاقي للمجتمع الجزائري مع الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات وتجديد الوسائل لا تجديد الخطاب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن باديس، التفسير، ج1، المصدر السابق، ص368-369.

<sup>2</sup> ابن باديس، نفس المصدر، ص 369.

<sup>3</sup> محمد مرغيث، المرجع السابق، ص: 364.

وأختم هذا المطلب بإشارة هامة وهي أن ابن باديس وهو يدعو إلى الأخلاق وتقويمها وإصلاحها فقد كان قدوة ذا أخلاق عالية إسلامية، وقد شهد له بذلك كل من كانت له به صلة، حيث ذكر الكتاب والمؤرخون بأنه كان أمة وقرانيا فقد عاش وتخلق بالقرآن ومات عليه، وأكرم من خلق.

والحاصل أن ابن باديس استطاع زرع أخلاق الإسلام وآدابه في تلاميذه كما نجح في بيان دواء الأمراض الاجتماعية لأهل بلده، ووضع منها عمليا سلكه تلاميذه من بعده، ناشرين للإصلاح الباديسي ومدافعين عنه، فهو وإن لم يشهد جنى كل الثمار فقد أحيا وجدد الدين والسلوك الإسلامي وبقيت آثاره محل تقدير وإعجاب واقتداء.

ويمكن القول أن المصلحين متفقان على أن إصلاح الجانب الأخلاقي هو إحدى الركائز الرئيسية في أي مشروع نهضوي يهدف إلى إعادة المجتمع الإسلامي إلى صفاته ونقائه، كما أنهما متفقان أيضا في أن المرجعية في الإصلاح لا تخرج عن المصادر الإسلامية المتمثلة في القرآن والسنة وسلوك السلف الصالح<sup>1</sup>.

أنهما عالجا القضايا الأخلاقية في إطار عام وخاص، أما الإطار العام فيدخل في سياق إرساء المفهوم الشمولي للإسلام وعرضه ككل متكامل ومتربط بعيدا عن منهج التجزئة، وأما الإطار الخاص فيتمثل في عرض وبسط الآداب الإسلامية والأخلاقية السامية، ومحاربة مظاهر الفساد الاجتماعي والفردية، وإن كان محمد بن عبد الوهاب يختلف مع عبد الحميد بن باديس في بعض الجوانب العلمية، كإنقاذ الحدود على بعض الناس الذين اقتصروا بعض الكبائر كالزنا مثلا، حيث أنقذ حد الرجم على امرأة طلبت تطهيرها من فاحشة الزنا اعترافا وقرارا باعتباره القاضي الأول في الدولة الناشئة، ولما فيه من مصلحة متحققة قد تم لها ذلك.

ولأن إقامة الحدود فيها حياة الناس، فقد ساد الأمن والأمان بعد ذلك في البلاد النجدية وخاصة في عهد الملك عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية الثالثة، حيث بقيت هذه الدولة وفيه

<sup>1</sup> المرجع نفسه.

لمبادئ ابن عبد الوهاب، وهذا باعتراف ابن باديس نفسه، جاء هذا في سياق الحديث عن القرآن ودوره في شفاء الأرواح والأبدان وشفاء العقائد والأخلاق، ومن مظاهر ذلك انفاذ الحدود يقول: "وهذه الممالك الإسلامية التي تقيم الحدود القرآنية كالمملكة النجدية الحجازية، والمملكة اليمانية، قد ضرب الأمن رواقه عليهما واستقرت السكينة فيهما، دون سجون ولا مشانق مثل أولئك\* وما ذلك إلا لأنهم داووا الملك بدواء القرآن فكان الشفاء التام"<sup>1</sup>.

ومن أهم المفارقات أيضا بين الرجلين أن ابن باديس كان أوسع طوقا في موضوع الأخلاق من ابن عبد الوهاب، ونعتقد أن ذلك لسبب واحد وهو مدى الانحراف الكبير الذي كان يعانيه مجتمعه في ظل الاحتلال الفرنسي الذي ساهم في تفشي الرذائل والمنكرات، إضافة إلى التقليد الأوربي من قبل شباب الجزائر الذي أفسد عقول وأخلاق الشباب فكان الحمل ثقيل والوضع خطير.

### المطلب الثالث: الدعوة إلى الاجتماع ونبذ التفرقة

لقد دب إلى المجتمع الجزائري في عصر عبد الحميد بن باديس داء الاختلاف والافتراق وكانت الأسباب متباينة، فمنها ما يعود إلى العوامل الداخلية ومنها ما يعود إلى العوامل الخارجية وبمعنى آخر فإن المجتمع الجزائري صار شيعا وأحزابا وطوائف مختلفة وكلها ساهمت في إضعاف وحدة الأمة وقوتها وزاد الأمر اختلافا وافتراقا سياسة المحتل الذي نشر سياسة فرق تسد بين أبناء الوطن، إن هذه التركة التي وجدها ابن باديس قادت إلى التفكير الجاد في سبيل جمع الكلمة وتوحيد الصف واجتثاث أسباب الفرقة والاختلاق في أمة دينها واحد ولغتها واحدة ومصيرها واحد وحضارتها واحدة.

لقد اعترف ابن باديس أن ما أصاب المسلمين كان بإهمالهم لأمر الاجتماع ونظامه، لأن الاجتماع إنما شرع للمصلحة العامة، فيه تنظيم الأحوال وتستقيم الأوضاع، وتجتمع كلمة المجتمع

<sup>1</sup> ابن باديس، التفسير، ج 1، مصدر سابق، ص 357.

\*يقصد ابن باديس "بأولئك" الأمم الغربية بقول " فهذه الأمم الغربية بسجونها ومشانقها ومحاكمها وقوتها قد امتلأت بالجنايات والفضائح المنكرة التي تقشعر منها الأبدان..." ابن باديس، التفسير، ج 1، مصدر سابق، ص 357.

وتقوى شوكتهم ويكون ذلك سببا في النهوض والنهضة وابن باديس لم يخرج عن المنهج العام الذي رسمه لنفسه في خطته الإصلاحية، فقد دعا إلى الوحدة الإسلامية وحذر من الفرقة والاختلاف وكان دائما يرشد بالهداية القرآنية والسنة المحمدية في تقرير مسألة الاجتماع والوحدة ومالها من أثر في قوة الأمة وحفظ عمود الإسلام والقيام بمقتضيات الإيمان<sup>1</sup>.

لقد كان المصلح الجزائري في أبحاثه العلمية يوظف القصص القرآني وأحوال الأمم الغابرة والدول السالفة وما كان من أمرهم، لما تفرقوا في دينهم ودنياهم، وبين سنن الله الكونية القدرية فيهم فاستشهاد ابن باديس بالقرآن الكريم هو قمة الوعي والإدراك، لأن القرآن الكريم يأتي بمعطياته التاريخية من أجل أن يحرك الانسان صوب الأهداف التي رسمها الإسلام ويبعده في الوقت نفسه فردا وجماعة عن المزالق والمنعرجات التي أودت بمصائر الأمم والجماعات والشعوب كما أعطانا نموذجا حيا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف حرص على تحقيق الاجتماع ووحدة الكلمة لبناء دولته الناشئة وليكون القدوة للأجيال المتعاقبة<sup>2</sup>.

لقد حرص ابن باديس في حركته الإصلاحية ومن خلال مقالاته المتنوعة وتفسيره للقرآن وشرحه للسنة النبوية وخطبه ودروسه على وحدة المجتمع الجزائري الذي أنهكته الإيديولوجيات الفكرية والسياسية والسياسات الاستعمارية وعمل على ربطهم بالقرآن الكريم والسنة المطهرة الداعيين إلى اجتماع الكلمة ودم الفرقة والاختلاف وأعطانا صورا من قصص الأولين من سيرة السلف ودول الإسلام التي كانت مثلا لهذا الأمر، وبه سادت الحضارة الإسلامية وتفوقت على الأمم الأخرى وأعظم ما كان يركز عليه ابن باديس في هذا السياق وهو سبب نهضة المسلمين مسألة طاعة ولاية الأمر وقادة وهو يرافق محمد بن عبد الوهاب في وجوب طاعة ولاية الأمور والإذعان لهم في غير معصية طبعاً.

يذهب ابن باديس إلى أن من أعظم الفتن والبلايا التي تكون سببا في تفرق الأمة وتصدع وحدتها تسلط الحكام وجورهم وبنجر عنه \_ حسب ابن باديس \_ فساد عظيم، فساد القلوب والعقول

<sup>1</sup> ابن باديس، التفسير، ج 1، مصدر سابق، ص:426.

<sup>2</sup> مرغيث محمد، المرجع السابق، ص 366.

والأخلاق والأعمال والأحوال، بل ويؤدي بالأمة إلى انحطاط دني وديوي، ويلحقها من جرائه كل شر وبلاء وهلاك هذا إذا كان الحاكم من جنسها ويدين بدينها فكيف إذا لم يكن من جنسها ولا دينها في شيء<sup>1</sup>، وهي إشارة واضحة إلى الاستعمار الفرنسي وحكوماته التي تسلطت على رقاب الجزائريين وفرضت عليهم من السياسات الجائرة والقيود الكثيرة، فهلكت بسببه الأمة وفسد دينها ودنياها وهذا التعريض من ابن باديس دل على عمق فكر الرجل وذكائه فهو قد عايش هذا الواقع المرير وشاهد ما تعانيه الأمة الجزائرية منذ احتلالها فخلص حينها إلى أن أعظم ما لحق الأمم الإسلامية من الشر والهلاك والفرقة والاختلاف كله جاءها على يد السلاطين الجائرين وهذا ما يشهد به تاريخها في ماضيها وحاضرها<sup>2</sup>.

وجملة القول أن الحل الذي يراه ابن باديس مناسبا للخروج من هذا المأزق هو الرجوع إلى القرآن وما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وما مضت عليه القرون الثلاثة المشهود لها منه بالخير في الإسلام، وذلك هو الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالم أولا، ولا نجاة للعالم ما هو فيه اليوم إلا إذا أنقذه الله به ثانيا<sup>3</sup>.

ويتضح لنا من خلال ما سبق أن فكر المصلحين كان منسجما ومتقفا على الدعوة إلى التوحيد، توحيد الصف ونبذ الاختلاف والفرقة التي كانت سببا في ضعف العالم الإسلامي عموما "تجد" و "الجزائر" خصوصا.

✓ أنهما اعتمدا في تقرير ذلك على القرآن والسنة الداعيان إلى الاجتماع والمحذران من الفرقة.  
✓ أنهما وضحا آثار ذلك على الفرد والمجتمع، وأن سبب هلاك الأمم والدول إنما بسبب تفرقهم إلى شيع وأحزاب.

✓ أن غرضهما من هذا كله تحقيق الوحدة الإسلامية والجماعة الإسلامية في ظل ضعف الخلافة الإسلامية وبداية زوالها، كما أنها جدار صلب أمام الأطماع الاستعمارية التي يخدمها التشرذم

<sup>1</sup> ابن باديس، التفسير، ج 1، مصدر سابق، ص 431.

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 431-432.

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص 433-434.

الاجتماعي والتفكك السياسي والاختلاف الديني حتى تضعف شوكتهم، لأن الغرب يعلم يقينا أن قوة المسلمين في وحدتهم وتمسكهم بدينهم.

ويختلفان في الجانب التطبيقي، ففي الوقت الذي لجأ محمد بن عبد الوهاب في ظل الدولة السعودية الأولى إلى إخضاع المناوئين له والمعارضين له بالشيف والقوة حتى يتحقق الأمن والاستقرار وتجتمع الكلمة، نجد أن ابن باديس يتوقف عند حدود الدعوة والإرشاد والبيان والإنذار والتحذير من عواقب الاختلاف والفرقة ليس في الأمور الدينية فحسب بل حتى في الأمور السياسية المتعلقة بالنضال الوطني والبرامج السياسية والحزبية.

### المبحث الثالث: محاربة الفساد عند عبد الحميد بن باديس

#### المطلب الأول: المجتمع الجزائري زمن ابن باديس

الواقع أن الجزائر في عصر ابن باديس كانت في أسوأ الأحوال من الناحية الاجتماعية في زمن تغلب الجهل وفسوا الأمية وغياب الوازع الديني، وضعف الإيمان ووقوع الأمة بين مخالب الطرقية والاستعمار، فالطرقية جمدت العقل وصار حبيس الخرافة والتقديس والاستعمار شجع هذا التفكك الاجتماعي، وساهم في انحلال الجانب الأخلاقي لدى الجزائريين بل أن نقشي مظاهر البؤس الاجتماعي والمنكرات كان يخدم إدارة الاحتلال من جهة بقاء الشعب الجزائري في الظلم.

المتأمل في السواد الأعظم من الأمة الجزائرية في زمن الشيخ ابن باديس يرى أنها ابتليت بتقاليد فاسدة وعوائد ممقوتة كلها ضد الشريعة وضربة قاصمة على أحكامها وسبب ذلك في اعتقادي مجاوزة حدود الشرع وعدم الوقوف عند أحكامه ومن تم تمكن هذا الداء في قلوب العامة والخاصة وجرى فيهم مجرى الدم في العروق ولا يمكن للنفوس البشرية أن ترجع إلى رشدها وأن تصلح صلاحا شرعيا على ظهر صحيفة الشهاب وهو مبدؤه في الإصلاح الديني والديني كما كان في شعاره في صحيفة الشهاب قوله: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

وليس من الممكن استيعاب كل مظاهر الفساد الاجتماعي التي كانت متفشية في الامة الجزائرية وانما نكتفي بعرض ما هو من صميم الاشكالية العلمية المطروحة والمتعلقة بشخصية ابن باديس وكيف عالج هذه المسألة في عصره.

لأن المجتمع الجزائري طيلة هذه الفترة المرعبة الملامح الطويلة النفس قد فقد أعظم شيء لديه وهو دينه الصحيح الذي هو منبع كل الفضائل ومفسح كل الآمال والمحرر من كل أصناف العبودية الفكرية والشهوانية والتي جعلته سنين طويلة ساكنا (statique) شلول الاطراف معتوه الالباب لا يدري كيف يدري ولا يعرف كيف يفكر وإذا فكر لا يعرف كيف يقدر فقدت الأمة الجزائرية أعظم شيء في رقيها وبقائها في تقدمها وارتقائها ومكمن هذه الأسرار هو الجهل المردي الذي وقف في كل طريق إصلاح أو ترقية افساد ولقد صدق القائل حين قال وهو يصف الجهل :

والجهل داءٌ قاتل وشفائوه \* أمران في التركيب مُتفقان  
نص من القرآن أو من سنة \* وطبيب ذاك العالم الرباني

وننتج عن هذا أن تغلغت بعض الأمراض القلبية والحسية المعدية التي افسدت العقول ودنستها وقويت على الارواح فأفرغتها مز محتواها واجهزت على العزائم فأضعفتها واكتسحت مقوماتها وتقاليدها الصحيحة والبست الدين الصحيح حلة مز الرذائل التي تأباه الفطر السليمة والعقول الصريحة وعليه فقد سلب المجتمع اعز ما يملك وخسر دينه ودينياه وصار بهذه الاوصاف مضرب الامثال في التأخر بعدما كان مضرب الامثال في التقدم والتحرر والرقي لهذا جاء ابن باديس بمشروع اصلاحي شامل للفرد والجماعة واهتم بإصلاح العقول والقلوب والسلوك والاخلاق والهدف من ذلك اعداد جيل جديد معتز بإسلامه وعرويته ووطنيته ولذا سنتطرق إلى بعض مظاهر الفساد الاجتماعي التي عالجها مصلحنا ابن باديس وإن كانت تختلف عما ذهب إليه محمد بن عبد الوهاب لأن الواقع في اعتقادنا هو الذي يحدد الأولويات.

المطلب الثاني: موقفه من ظاهرة البغاء والبغاء الرسمي

انتشرت في القطر الجزائري وبالأخص في المدن الكبرى ظاهرة البغاء الرسمي<sup>1</sup> وهو دليل على الفساد الأخلاقي والانحراف السلوكي لدى طبقات المجتمع، ونظرا لخطورة هذه الظاهرة فقد قام ابن باديس وصحبه ببيان خطر هذه الآفة ووجوب معالجتها محذرين من عواقبها على الفرد والمجتمع.

وإذا كان محمد عبد الوهاب قد نفذ الحدود على مقترفي هذا الجرم الأخلاقي فإن ابن باديس اكتفى بالبيان والوعظ والتحذير، ولم تكن له وسيلة أخرى غير هذا في ظل ما كان يعيشه من واقع استعماري شجع وفتن هذه الرذيلة في دور خاصة، وتحظى بحماية إدارية، ولا نستغرب فإنها من أخلاق الغرب وجزء من فلسفتهم في الحياة ونوع من "الحرية" وإن كانت منافية للسلوك الانساني القويم والسليم.

لم يكن لابن باديس من بيان إلا بالرجوع إلى هدي الإسلام ونوره، والابتعاد عن هذه المنكرات والكبائر التي تهدم الأخلاق، وتسيء إلى النظام الاجتماعي، وإن أنجع وسيلة في رأي ابن باديس للقضاء على هذا الوباء هو معالجة هذه الرذيلة وذلك بإبطال سببها، وبيان عظم جرمها وسوء عاقبتها<sup>2</sup>.

وقد نص الشارع الحكيم على حرمة الزنا ونهى عن قربانه فقال: "وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا"<sup>3</sup> يقول ابن باديس: "وقوله ولا تقربوا ابلغ في النهي من قوله ولا تزنوا وأفادت هذه الآية تحريم الزنا وتحريم الدنو منه لا بالقلب ولا بالجوارح"<sup>4</sup>

إن فكر ابن باديس في مجمله كان فكرا مقاصديا، ولعل تأثره \_كما سبق\_ بالإمام الشاطبي المالكي أكسبه عقلية النظر في الوسائل والأسباب، وتقدير الاحتمالات والغايات، وبالتالي فإن مصلحنا لم ينظر إلى الظاهرة من زاوية ضيقة، بل وسع الأمر إلى أسبابها وآثارها، ولهذا أورد لنا

<sup>1</sup>البغاء الرسمي هي تلك الدور التي تمارس فيها الرذيلة بصفة رسمية، بترخيص من قبل سلطات الاحتلال.

<sup>2</sup> مرغيث محمد، المرجع السابق، ص: 380-381.

<sup>3</sup> سورة الإسراء الآية 32.

<sup>4</sup> ابن باديس، "حفظ النفوس"، الشهاب، ج7، م6، ربيع الأول 1439هـ/أوت 1930 م، ص402.

حديثاً شريفاً صحيحاً يبرز فيه ذلك، وهو ما ثبت في الصحيح أن في النبي صلى الله عليه وسلم: "كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناهما البطش، والرجل زناه الخطو، والقلب يهوى ويتمنى، يصدق ذلك الفرج أو يكذبه"<sup>1</sup>

والحق أن الشارع لما نهى من قربان الزنا، إنما هو سد لذريعة الوقوع فيه حقيقة، ولهذا كانت هذه الفاحشة من الكبائر التي وردت في سياق ذكر كبائر أخرى، كالقتل، وقتل الأولاد، وأكل مال اليتيم، والقول على الله بلا علم، ولا شك أن هذه من الموبقات المهلكات، والإمام ابن باديس في علاجه لهذه الظاهرة ومحاولة قطع أسبابها يربطها بالالتزام بأداء الواجبات الشرعية، كفرض الحجاب الشرعي وستر الحرة ما عدا وجهها وكفيها وجمع ثيابها عن الخروج بالتجلبب، كما يحرم عليها التطيب وقعقة حليها عند الخروج، وخلوتها بالأجنبي واختلاط الرجال بالنساء، ولهذا تظافر النهي والتشريع على إبعاد الخلق عن هذه الرذيلة وسوء عاقبتها<sup>2</sup>.

وقد رأى ابن باديس أن أنجع وأفضل علاج لهذه هذه الرذيلة التي تجاوزت الحد في القبح، وبيان سوء عاقبتها، لأنها طريق مؤد إلى شرور ومفاسد كثيرة في الدنيا وعذاب عظيم في الآخرة، وهو طريق إلى هلاك الأبدان والاعراض وضياع الأموال وخراب البيوت وانقطاع الأنساب وفساد المجتمع وانقراضه، زيادة على ما فيه من معنى القتل للنفوس<sup>3</sup> هذه الأخيرة يشير إليها ابن باديس بقوله "في الزنا إراقة للنطفة وسفح لها في غير محلها، فلو كان منها ولد مقطوع الصلة ساقط الحق، فمن تسبب في وجوده على هذه الحال فكانه قتله، ولهذا بعد ما نهى عن قتل الأولاد نهى عن الزنا الذي هو كقتلهم لأنه سبب لوجودهم غير مشروع"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> رواه مسلم، كتاب القدر، باب قدر الله على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، رقم 2657، ج4، ص2046.

<sup>2</sup> ابن باديس، حفظ النفوس، مصدر سابق، ص403.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص402.

<sup>4</sup> مجهول، دور البغاء، الشهاب، العدد، 169، جمادى الأولى 1347هـ/10/25/1928م، ص13.

إن هذا العلاج الباديسي لهذه الظاهرة، تستوجب على الوعاظ والمرشدين والأخصائيين النفسانيين وعلماء الاجتماع أن يلتفتوا لها؛ لأن العلاج القرآني أفضل وأنفع، ونلمس هنا فكرا مقاصديا عند الإمام ابن باديس فاق به كثيرا أهل زمانه في الاستنباط والاستدلال والتعليل والتفهيم.

انتشرت هذه الظاهرة في المدن الخاصة، حيث صارت مهنة عند كثير ممن باعوا انسانياتهم وأعراضهم بأبخس الأثمان، وبالأخص في العاصمة، حيث أضحت مهنة كثير من البغايا، فغصت الطرق بهن، وبخاصة المومسات الأوربيات اللاتي فتحن ديارا خاصة تمارس فيها هذه الرذيلة بصفة رسمية، ورغم مطالبة رجال الإصلاح السلطات الفرنسية باتخاذ ما يلزم لمنع هذه الظاهرة ومع المبادرة المحتشمة التي لجأت إليها الحكومة، والتي اتخذت موقفا نبيلًا إزاء بغايا العاصمة، والتي تقضي بالضرب على أيدي هذا النوع الساقط أو المكروب الفتاك بالصحة والأخلاق والآداب العامة، وهذا الموقف رحبت به جميع النوادي التي لها علاقة بالسياسة الأهلية، وسرت به وقابلته بمزيد من الارتياح<sup>1</sup>.

إلا أن هذا الإجراء كان إجراء تمييزيا، مع ما فيه من تقصير، ذلك أن مسلك الإدارة في محافظة العاصمة مثلا، لجأت إلى طرد العواهر وإغلاق دورهن في الأحياء الأوربية، وإفراح المجال لهن في الأحياء العربية، مع أن هذا أجدر بالعناية، ولهذا دعت (مجلة الشهاب) الباديسية إدارة المحافظة بأن لا يقتصر عطفها على غير أحياء الأسر الإسلامية ذات التقاليد المحترمة وهذا دون شك دعوة إلى الفجور وتعميمه، أو زرع بذور الاستهتار حتى في الأحياء السالمة من هذه الظاهرة.

والملاحظ أن مسألة العهد الرسمي قد أقرته أغلب البلدان الأوربية حتى وقتنا الحالي، وذلك رغبة منها حسب زعمهم الحفاظ على العفاف العمومي، وتنظيم هذه المهنة في إطار الأعمال الأخرى ولهذا رأى بعض المصلحين من كتاب (الشهاب) أن أنجع الوسائل لإيقاف هذا التيار الجارف أو تخفيف وطأته هو حصر البغاء وجمعه في دور خاصة منعزلة عن البلاد بعيدة عن مراكز تجمع السكان وقد اقترحت (صحيفة الشهاب) الباديسية على الإدارة الفرنسية.

<sup>1</sup> مجهول، دور البغاء، نفس المصدر، ومحمد مرغيث، مرجع سابق، ص 189.

➤ مضاعفة الضرائب على هذا النوع المكدر صفو الحياة الاجتماعية.

➤ سن قوانين وشروط ثقيلة على المتورط في مهاوري الفحش<sup>1</sup>.

والحاصل أن ابن باديس استنفذ كل ما يمكن أن يحد أو يقلل أو يقضي على هذا الداء، وكما نرى فإنه يختلف عن محمد بن عبد الوهاب الذي حسم القضية بإقامة الحدود الشرعية على من تعدى وارتكب مثل هذه المنكرات، ولا شك أن في ذلك مصالح كثيرة، ففيه زجر وتهديد وعبرة للمعتبرين، وساعده على ذلك مسؤوليته باعتباره قاضي القضاة، والمسؤول الكبير في الدولة الناشئة، والله يزغ بالسلطان ما لا يزغ بالقرآن بينما ابن باديس اكتفى بالدعوة والترهيب والتذكير بالعواقب الوخيمة على الأفراد ورب كلمة نافعة، كما أنه لا يملك وسيلة أخرى للحد من هذه الظاهرة إلا البلاغ لأن الظروف تختلف عن مصلح(نجد) وهو جوهر الفرق بينهما.

### المطلب الثالث: مقاومة الإلحاد بين الشباب

إن ثمة حقيقة شاهدة على أن من أهداف المشروع الاستعماري هو التركيز على فئة الشباب المسلم، ومحاولة خلق جيل جديد منسلخ من جميع مقوماته الشخصية ومبادئه الإسلامية فسبب الجهل والامية التي كانت الجزائر تعانيها تحت مظلة الإدارة الاستيطانية مكنت هذه الأخيرة من نشر الأفكار والدعايات الإلحادية من الحضارة الغربية بين شباب الأمة، ووجدت هذه الأفكار ضالتها في فئة من شباب الجزائر الذين لا يزالون محافظين على مبادئهم الإسلامية وتقاليدهم العربية.

والواقع أن شباب الجزائر كان يعيش بين تيارين، تيار يدعو إلى الانفتاح على الحضارة الغربية الفرنسية، والانحلال والانسلاخ من مقوماته، وبين تيار يدعو إلى المحافظة على التقاليد الإسلامية والعفاف العمومي.

<sup>1</sup> محمد مرغيث، المرجع السابق، ص: 384-385.

ولقد عمل مصلحنا ابن باديس على صد هذه الجبهة، وكان عمله الإصلاحية أساسا يستهدف الشباب بناء النهضة والحضارة، ومن أمارات ذلك ما جاء ضمن شعار (الشهاب) "أنها لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري"<sup>1</sup>، ونظرا للوضعية الصعبة التي يمر شباب الجزائر بل والمعقدة فلا نعجب إذن أن تكون صحيفة (الشهاب) مركزا لتجمع هؤلاء الشباب لإنقاذه من الانحلال والانحراف، يقول ابن باديس "أعلن الشهاب من أول يوم-و المتنقد الشهيد قبله- أنه لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري، ولم يكن ذلك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده، وقبح له دينه وقومه وقطع له من كل شيء-إلا منه-أمله، وحفزه في نفسه تحفيزا وإلا شباب أكلته الحانات والمقاهي والشوارع.... وإلا شباب حفظه الله للإسلام والعروبة، فأقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتز بماض ولا يألم بحاضر ولا يطمح لمستقبل.... اللهم إلا أفرادا قلائل هنا وهناك"<sup>2</sup>.

وهذا النص هو أدق وصف يمكن لنا من خلاله أن نتقف على الوضع الحقيقي لشباب الأمة في زمن الاحتلال، وفي زمن الجهل والظلامية، وأخطر ما كان يحيط بهذه الفئة حسب رجال الإصلاح هو الفكر الغربي ومظاهر الحضارة الاي أزاغت قلوب كثير منهم وجعلتهم يتمردون على التقاليد الجزائرية والمبادئ الإسلامية بحجة الانفتاح والتقدم ولعل أسباب ذلك ما لخصه لنا السعيد الزاهري<sup>3</sup> حول أسباب انتشار الفكر الالحادي ومنها:

- الجهل المخيم على أكثر شباب الأمة، وذلك نتيجة سياسة التجهيل التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية طريقا لها في سبيل تحقيق أهدافها الصليبية.
- محاربة كل دعوة إلى تحرير العقول والدعوة إلى الإصلاح بشتى أشكاله.

<sup>1</sup> انظر الملحق رقم 2.

<sup>2</sup> ابن باديس 'فاتحة السنة الرابعة عشر' ج 1، م 14، محرم 1357هـ/مارس 1938م، ص 2.

<sup>3</sup> السعيد الزاهري، (1899-1957) ولد بقرية ليانة قرب بسكرة، تتلمذ على يد الشيخ بن باديس في قسنطينة ثم درس بالزيتونة وحصل على شهادة التطويح سنة 1924، وهو شاعر وصحفي وكاتب من رجال الحركة الإصلاحية أسس جريدة الجزائرية 1925، والبرق سنة 1927، كان عنيفا في نقد الطرقية والهجوم على البدع، كما عرف أيضا بأسلوبه الحاد، يهاجم خصومه بعنف فيها غير قليل من التهكم والسخرية، له مقالات كثيرة في الصحف الإصلاحية (الشهاب) كما كتب مقالات كثيرة أيضا في الصحف.

- ظهور المدرسة الفرنسية (اللائكية)، وما تحمله من أفكار هدامة ودعوة إلى هتك القيم والأخلاق وفصل الدين عن شؤون الحياة ومتطلباتها، وكان من نتائجها:
- أن عملت على علمنة الحياة وفصلها عن شؤون الفرد المسلم الدينية.
- نشر المبادئ العلمانية والإلحادية.
- تربية جيل جديد يتوافق والحضارة الغربية بعيدا عن مبادئه ودينه وأخلاقه.
- عملت على تكوين نخبة من الشباب يحملون راية المدينة الحديثة ويدعون إليها بلسان قومهم، أو بالأحرى عملت على فرنسة الشباب الجزائري والباسه لباسا عصريا يتماشى والتقاليد الأوروبية<sup>1</sup>.

ولقد حذر ابن باديس الشباب بوجوب الحذر من مصارع السوء الذي سقط فيها الأولون ووقعوا في شرك الملاحدة التي جعلت الغربيين أنفسهم يرجعون إلى رشدهم ويتنبئون بشر مستطير، إن لم توحد جهود علماء التربية لتلا في ذلك الشر<sup>2</sup>.

ومن هنا فقد وظف ابن باديس سلاح المقاومة لإبطال هذا الانحراف الذي هشم شباب الأمة ولم يكن إلا سلاح الدعوة إلى الإسلام الصحيح، والعودة بالمسلمين إلى منابعه الصافية الخالية من أدران المناهب الهدامة والأفكار الإلحادية وكان تركيزه على الشباب من أولويات حركته بحيث سعى لتربيته وتهذيبه وفق تعاليم الدين الحنيف وترشيده إلى ما هو أسمى، والرقى به إلى سلم السعادتين الدنيوية والأخروية.

<sup>1</sup> الزاهري محمد السعيد، "الفرنج الآثم"، البرق، عدد4، رمضان 1435هـ/ مارس 1927م، ص1.

<sup>2</sup> ابن باديس، القرآن يصف عباد الرحمان، الشهاب، ج6، م8، صفر 1351هـ/ جوان 1932م، ص303.

لقد كان اهتمام ابن باديس بالشباب وانقاذه من الإلحاد من أوكذ الواجبات وذلك أن المدينة الحديثة بكل ما احتوته من طغيان المادة عليها وفسوا الخنا<sup>1</sup> فيها وانتصاب دعاة الإلحاد والمروق من الدين في طريق كل داع إلى الإصلاح والنهضة.

والحق أن ابن باديس قد نجح إلى حد كبير في معالجة ظاهرة الانحراف العام الذي تعرض له شباب الجزائر من خلال تأسيس جمعية العلماء المسلمين والنوادي الثقافية والمدارس، إقامة المحاضرات والمسابقات والرحلات، من أجل إشغال الشباب بما ينفعهم ويصلح حالهم ويدفع بهم إلى العمل الجاد لإخراج البلاد وتحريرها من قيود الاستعباد الاستعماري والكهنوت النصراني<sup>2</sup>.

ويمكن أن نعطي صورة مصغرة عن بعض مظاهر الإلحاد الذي تفشي بين الشباب، فمن ذلك انتهاك حرمت الدين، والتفرنج الآثم، والتقليد الأعمى، والجري وراء شهوات الدنيا ولذاتها... فمثلا كان انتهاك حرمة رمضان أمر يتنافس عليه الكثير من الشباب المتفرنج، واعتياد الذهاب إلى أوكار الفساد والدعارة أمر غير مستقبح في نظرهم وغيرها كثير.

ولقد بدأ الحال يتغير في عهد ابن باديس بفضل الله ثم بفضل المجهودات الجبارة التي بذلها رجال الإصلاح، فصار الشباب يتنافسون ويتفاخرون في درجة التمسك بالإسلام الصحيح والقيام بشعائره على أحسن حال.

والجدير بالذكر أن ابن باديس قد عمل على إثبات أن الإسلام الصحيح لا يتعارض مع الثقافة الجديدة والتطور الحاصل الذي طرأ على مختلف مجالات الحياة بناء على صلاحية هذا الدين لكل مكان وزمان، وعدم تعارضه مع كل فكرة تدعو إلى النظر والتأمل والإبداع، ودعا أيضا إلى الاستفادة من أمم الدنيا والحضارات الأخرى بما يخدم العلم و المعرفة ولا يناقض عقائد الإسلام وأحكامه، والشواهد التاريخية تثبت أن كل الحضارات السابقة استفادت من بعضها في مجال العلوم العقلية والاجتماعية والحاصل أن المجتمع الجزائري بفعل العوامل السياسية والتاريخية قد فقد كل شيء دينه ودنياه.

<sup>1</sup>الخنا: الفحش، ينظر الرازي: مختار الصحاح، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص192

<sup>2</sup> مرغيث محمد، المرجع السابق، ص: 387-388.

وكان للاستعمار الفرنسي دورا كبيرا في إيجاد مجتمع متفصح ومنحل أخلاقيا واجتماعيا فمع سياسة التجهيل والتفكير، وكذا نشر الثقافة الغربية ذات الخصوصية بين أفراد الأمة، زاد من تفكك المجتمع وتفرقه ووقوعه ضحية أفكار إلحادية منافية للقيم الدينية والروح الوطنية والتقاليد الإسلامية وعلى هذا الوضع بنى ابن باديس برنامجه الإصلاحى الشامل وعمل على وضع مشروع مجتمع يتوافق والقيم الحضارية ذات البعد الإسلامى والعربى، ولهذا عاش الرجل للإسلام والعروبة والوطن، وهنا يمكننا أن نختصر مشروع ابن باديس في هذه الثلاثية<sup>1</sup>.

فمن خلال هذا العرض نجد أن كلا من محمد بن عبد الوهاب وابن باديس ظهرا في زمن كان يحتاج إلى حركة بعث جديدة تستهدف كل مجالات الحياة العامة ولئن كان للانحراف الدينى نصيبه من المشروعات الإصلاحيين، فإننا نعتقد أن الإصلاح الاجتماعى كان له مكانة في فكر الرجلين، وبالتالي فالغوص في أمراض المجتمع الفردية والجماعية كان يتطلب قوة علمية وحكمة في تشخيص هذه الأمراض ومعالجتها وفق رؤية شرعية عقلانية.

ومن جهة أخرى أن كلا الرجلين كانا يعتقدان أن الإصلاح الدينى هو أساس الإصلاح الاجتماعى، وبالتالي عملا على تحرير الفكر وتطهير العقائد وتقويم الأخلاق حتى يستقيم نظام المجتمع وتنظم الحياة الفردية والجماعية، كما أن الرجلين كانا ابني بيئتهما، بحيث حددا الأولويات في الإصلاح، وهنا نجد بعض الاختلافات الواضحة بين المصلحين من خلال تباين مظاهر الفساد الاجتماعى في البيئة النجدية والجزائرية<sup>2</sup>.

فمن الواضح أن محمد بن عبد الوهاب كان يتمتع بحرية سياسية ومسؤولية دينية واجتماعية، استطاع أن يوظف مكانته في الفضاء نهائيا على كل أشكال مظاهر الفساد، باعتباره أحد الرموز المهمة في الدولة السعودية، وباعتبار السلطة كانت تعمل على تنفيذ أوامره ونواهيه، إما بقوة السيف أو بالدعوة والبيان، وهذا الأمر لم يكن متوافر عند إمامنا عبد الحميد بن باديس الذي لا يملك إلا أن يبلغ علما صحيحا وسلوكا ودعوة وخطابا ومقالا..... ولكن ابن باديس في

<sup>1</sup> محمد مرغيث، المرجع السابق، ص: 387-388.

<sup>2</sup> نفس المرجع.

رأينا استعان بإخوانه من العلماء وبطلابه الذين تكونوا على يديه، وعمل على تكوين جيش من الدعاة والعلماء وتوزيعهم على معظم المناطق في البلاد، وبالتالي أحدث جيشا مضادا لسلطات الاحتلال وللطرقية، سلاحهم العلم الصحيح والمعرفة الحقة، وكان يرى أن سلطان العلم كافيا في تجاوز هذه المرحلة وإضعاف أو القضاء على تلك الجيوش الحرة التي تقف أمام حركته وهو ما حدث وأثبتته الأيام.

### خلاصة الفصل الثاني:

نستخلص في الأخير أن المصلح الجزائري ابن باديس ولد في ظروف لا تبعث على التفاؤل إطلاقاً، فقد كانت الجزائر تحت السيطرة الاستعمارية وكانت نتيجة الوجود الفرنسي في البلاد أن وصل الحد بالفرد الجزائري إلى حالة من اليأس والقنوط، ورغم أن ابن باديس خرج من أسرة علمية وسياسية ذات ثقافة فرنسية بل وتعمل في الإدارة الاستعمارية، ورغم الأجواء المهيأة له في طلب العلم وتحصيل المعرفة والرعاية الأسرية التي حتمته من بطش الإدارة، فإن مصلحنا وظف في هذه الأمور في خدمة الأمة الجزائرية وإسلامها وعروبيتها ووطنيتها الحققة، أما ابن باديس فقد ترك بعد وفاته نخبة من العلماء الذين تخرجوا على يديه وأكملوا المشوار الإصلاحية بكل عزيمة وإخلاص، كما خلف مصلحنا تراثاً علمياً متنوعاً في السياسة والديانة والثقافة والتاريخ والمقالات والأبحاث والخطب وغيرها وصارت هذه التركة هي دستور المشروع الإصلاحية الباديسي، وهي تدل على عبقرية الرجل وفطنته وجهاده وإخلاصه.

# الخاتمة

**خاتمة:** نستخلص من هذه الدراسة المقارنة بين علمين من أعلام الأمة الإسلامية ورائدين من رواد التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي النتائج التالية:

- 1) أن الأمة الإسلامية كانت تعيش عصر إنحطاط في جميع المجالات حيث تكالب الاستعمار على مقدرات الأمة ووجدتها الجغرافية والدينية والسياسية مما أدى إلى ظهور ثورات حقيقية تؤسس لمجتمع إسلامي، فانطلق المصلحان من هذا الإنحطاط الذي أصاب الأمة، فحاولا التغيير نحو بناء حضاري إسلامي.
- 2) نشأ فكر المصلحين ونما وترعرع في بيئة علمية أصيلة فالشيخ عبد الحميد بن باديس نشأ في أسرة ثقافتها مزيج من العربية والأجنبية إلا أن ذلك لم يمنعه من الالتحاق بركب الحضارة العربية الإسلامية، أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب أسرته كانت ذات ثقافة عربية .
- 3) أسهم المصلحان في إحياء تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية فكان منهج عبد الحميد بن باديس أكثر حداثة وتطورا من منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- 4) استطاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يقيم مجتمعا إسلاميا متكاملا تحت لواء دولة إسلامية كما أرصد دعائم الأمن الفكري والسياسي والاستقرار في بناء الحجاز، كما تمكن الشيخ عبد الحميد بن باديس من إرساء دعائم مجتمع يؤمن بدينه ووطنه وعروبيته، واستطاع أن يؤسس لشعار أصبح عقيدة راسخة عند الجزائريين هو "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا".
- 5) أن حياة الرجلين العلمية كشفت في وقت مبكر عن تميزهما ونبوغهما وفهمهما للواقع وبالتالي فإن أفكارهما كانت تحمل في طياتها ثورة حقيقية على الواقع، وإن الحس النقدي الذي غاب عن الأمة قرونا، قد ظهر من جديد في فكرهما وسلوكهما وبات الموروث المقدس عند الكثيرين محل نقد عندهما.
- 6) أن الإصلاح الاجتماعي تميز بمدى حرص المصلحين على وضع منهج إصلاحية نابع من واقع الأمة فحاولا أن يقدموا حلا مناسبة حسب خصوصية كل مجتمع وظروفه الخاصة، ولكن كان مصدر الحل محل اتفاق بينهما وهو البحث في حقائق الإسلام بالرجوع إلى الإرشاد القرآني والتوجيه النبوي في الإصلاح ولذا فقد اجتهدا الرجلان في الكشف عن أسباب انحراف المجتمع ووضعوا الدواء المناسب من خلال محاربة الفساد الاجتماعي والحد من انتشاره في الأمة الإسلامية. ورغم التباين الموجود بين المجتمعين من حيث الأمراض والمظاهر فإن محمد عبد الوهاب يكون متقدما على ابن باديس في علاج هذه الأمراض وذلك أن حركته كانت علمية إذ أنه كان مؤيدا من السلطة الزمنية التي نفذت أوامره وطبقت مبادئه، أما ابن باديس فقد بقي يعمل في إطار التذكير والوعظ والتحذير والإرشاد والتوجيه في إطار حكومة أجنبية استعمارية لا تريد لنهضة ولا تقدما للأمة الجزائرية.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns in black ink, framing the central text. The border consists of four corners with elaborate designs of leaves, flowers, and scrolls, connected by straight lines.

## قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

-القرآن الكريم.

-الأحاديث النبوية.

أ-الكتب:

- 1) ابن باديس، التفسير، ط1، تح: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد، الجزائر، 2009.
- 2) ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتاب العلمية، ط1، 1995.
- 3) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تح: عبد الرحمان بن عبد اللطيف، بن عبد الله آل الشيخ، ط4، دار الملك عبد العزيز للمطبوعات، الرياض 1972 م، ج1.
- 4) ابن بشر، عنوان المجلد في تاريخ نجد، ج1، ط1، تح: عبد الرحمان بن عبد اللطيف 290- بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز الرياض، 1402هـ/1982م. ج1.
- 5) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه مالك وأصحابه، ط4، المكتبة العربية، دمشق، 1385هـ - 1966 م، ص - ص 149 - 151. وانظر نص الرسالة في: ابن الجوزي سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1404هـ / 1984م.
- 6) ابن غنام حسين: تاريخ نجد، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1415 هـ - 1994 م.
- 7) حسين بن غنام، تاريخ نجد، تحقيق ناصر الأسد، بيروت، دار الشروق، ط2، 1985هـ.
- 8) أمين سعيد، تاريخ الدولة، مج، د.ت، د.س.

- (9) حسين أبي بكر بن غنام، تاريخ ابن غنام المسمى (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام) تح: سليمان بن صالح الحراشيف، دار الثالوثية، الرياض، 2010 م، ج1.
- (10) الريحاني أنيس، تاريخ نجد وملحقاته، ط1، المطبعة العلمية، بيروت /لبنان، 1928.
- (11) محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، تح: محمد بهجة الأثري، د.ت، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- (12) الشيخ رابح، ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة.
- (13) الصلابي علي محمد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 2016.
- (14) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية (في ماضيها وحاضرها)، دار مكتبة الحياة للنشر، بيروت، د.س، ج1.
- (15) الطالب عمار، عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، د.ط، د.م.ن، د.س.
- (16) الطالب عمار، ابن باديس، حياته وآثاره، ج1، ط3 الشركة الجزائرية، الجزائر 1997 م.
- (17) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1966) م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.س.
- (18) محمد أديب غالب، من أخبار الحجاز ونجد (في تاريخ الجبرتي)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د.ب، 1975.
- (19) محمد بن عبد الوهاب، (ج1)، مجموع رسائل في التوحيد، الرسالة الرابعة: تلقين أصول العقيدة للعامة، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.
- (20) محمد بن عبد الوهاب، الأصول الثلاثة وأدلتها، ط1، دار الآثار، القاهرة: 1426 هـ - 2005 م.
- (21) محمد بن عبد الوهاب، الكبائر، ط1، تح: إسماعيل الأنصاري، ط1، ضمن مؤلفات الشيخ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

(22) محمد بن عبد الوهاب، فتاوى ومسائل ضمن مؤلفاته، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

(23) المدني أحمد توفيق، حياة كفاح-القسم الثاني، د.ط، د.م.ن، د.س.

(24) ياسين بن علي، خروج الوهابيان الخلافة العثمانية، د.ت، دار الزيتونة للنشر، 2004.

### ثانياً: المراجع

(1) ابن القيم: الفوائد، ط1، تحقيق عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ - 1983م.

(2) بن برجس عبد السلام، الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والتحذير من مفارقتهم، ط1، المملكة العربية السعودية: 1418هـ.

(3) بهجة الأثري محمد، محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث، (د ط)، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1404هـ/1984م.

(4) بوصفصاف عبد الكريم، رواد النهضة الفكرية والتجديد في الجزائر 1889\_1965، الجزائر، دار الهدى ط، 2007.

(5) تاج السر أحمد حران، حاضر العالم الإسلامي، دار إشبيليا للنشر، الرياض، 2001 م.

(6) تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤساؤها الثلاثة، والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004

(7) تركي رابح، الشيخ ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 2001.

(8) جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ط 3، 1402هـ، 1982م.

- (9) عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، الجزائر، 1998.
- (10) العثيمين عبد الله، محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، ط2، دار العلوم، الرياض، 1412 هـ - 1992 م.
- (11) الفوزان صالح، شرح رسالة المجدد محمد بن عبد الوهاب الى أهل القصيم، ط1، الدارة الأثرية، 1428هـ/2007.
- (12) مرفت بنت أسرة، احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1419 هـ - 1998 م.
- (13) مقبل فهمي توفيق، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1308\_1309).
- (14) المقدم بن إسماعيل: خواطر حول الوهابية، ط1، دار التوحيد للتراث، مصر: 1429 هـ - 2008 م.

### ثالثا: المذكرات والأطروحات الجامعية

- (1) مرغيث محمد، قضايا الحركة الإصلاحية عند محمد بن عبد الوهاب وعبد الحميد بن باديس " دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 1435/1434 هـ - 2014/2013.

### رابعا: المجلات

- (1) الإبراهيمي محمد البشير، الشهاب، ج ع م ع 1، عدد خاص باحتفال ختم التفسير الكريم ربيع الثاني/جمادى الأولى 1357، يونيه/ يوليه 1938
- (2) ابن باديس 'فاتحة السنة الرابعة عشر' ج1، م14، محرم 1357هـ/مارس 1938م.

- (3) ابن باديس، القرآن يصف عباد الرحمان، الشهاب، ج6، م8، صفر1351هـ/جوان1932م.
- (4) ابن باديس، "حفظ النفوس"، الشهاب، ج7، م6، ربيع الأول1439هـ/أوت1930م.
- (5) الحلبي أحمد، "المتغيرات الثقافية في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الدارة، العدد1، السنة32، محرم، 1427 هـ - 2006م.
- (6) الزاهري محمد السعيد، "التفرنج الآثم"، البرق، عدد4، رمضان1435هـ/مارس1927م.

A decorative rectangular border with ornate floral and scrollwork patterns in black ink, framing the central text.

# فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

مقدمة ..... أ-هـ

الفصل الأول: بالإصلاح الاجتماعي عند محمد بن عبد الوهاب..... 36-07

المبحث الأول: حياة المصلح محمد بن عبد الوهاب ..... 14-07

المطلب الأول: مولده ونشأته..... 10-07

المطلب الثاني: نسبه وأسرته العلمية ..... 13-10

المطلب الثالث: البيئة ودورها في توجيه الشيخ علميا..... 14-13

المبحث الثاني: منهج محمد عبد الوهاب في إصلاح المجتمع..... 25-14

المطلب الأول: التخلية والتحية..... 19-14

المطلب الثاني: تقويم الأخلاق..... 22 -19

المطلب الثالث: الدعوة إلى الاجتماع ونبذ التفرقة..... 25 -22

المبحث الثالث: محاربة الفساد عند الشيخ بن عبد الوهاب..... 36 -25

المطلب الأول: المجتمع في زمن ابن عبد الوهاب..... 27-25

المطلب الثاني: مسألة الوقف على الأولاد..... 28-27

المطلب الثالث: موقفه من الربا والرشوة والمخالفات والمنكرات..... 36-29

الفصل الثاني: الإصلاح الاجتماعي عند عبد الحميد بن باديس..... 66-38

المبحث الأول: حياته..... 44-38

المطلب الأول: مولده ونشأته..... 42-38

المطلب الثاني: نسبه..... 43-42

44-43.....	المطلب الثالث: وفاته.....
-45.....	المبحث الثاني: منهج الشيخ بن باديس.....
48-45 .....	المطلب الأول: التخلية والتخلية.....
53-48.....	المطلب الثاني: تقويم الأخلاق.....
55-53.....	المطلب الثالث: للدعوة إلى الاجتماع ونبذ التفرقة.....
-56.....	المبحث الثالث: محاربة الفساد عند بن باديس.....
57-56.....	المطلب الأول: المجتمع في زمن عبد الحميد بن باديس.....
60-57.....	المطلب الثاني: موقفه من ظاهرة البغاء.....
66-60.....	المطلب الثالث: مقاومة الإلحاد بين الشباب.....
68 .....	خاتمة.....
73-70.....	قائمة المصادر والمراجع.....
76-75.....	فهرس المحتويات.....

## الملخص:

هدفت الدراسة للكشف عن الإصلاح الاجتماعي للأعلام سواء المشاركة أو المغاربة خاصة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد الحميد بن باديس، وكذا رسم معالم التشابه و الاختلاف خاصة في مجالات و ميادين الإصلاح، فقد تميز الإصلاح الاجتماعي بمدى حرص المصلحين على وضع منهج إصلاحي نابع من واقع الأمة، فحاولا أن يقدموا حلولاً مناسبة حسب خصوصية كل مجتمع وظروفه الخاصة.

ولذا فقد اجتهدا الرجلان في الكشف عن أسباب انحراف المجتمع ووضعوا الدواء المناسب من خلال محاربة الفساد الاجتماعي والحد من انتشاره في الأمة الإسلامية، ورغم التباين الموجود بين المجتمعين من حيث الأمراض والمظاهر، فإن الشيخ ابن باديس كان يعمل في إطار التنكير والوعظ والتحذير والإرشاد والتوجيه، أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكانت حركته علمية مؤيدة من طرف السلطة.

**الكلمات المفتاحية:** الإصلاح، الإصلاح الاجتماعي، محمد بن عبد الوهاب، عبد الحميد بن باديس.

### Résumé :

L'étude visait à découvrir la réforme sociale des personnages célèbres médias, que ce soit à l'est ou au Maghreb, en particulier Sheikh Muhammad bin Abdul Wahab et Sikh Abdel Hamid bin Badais, ainsi que des traits de similitude et de difference, en particulier dans les domaines et domaines de la réformé. La Omahh ,alors ils ont essayé de fournir des solutions appropriées en fonction de la particularité de chaque société et de ses circonstances particulières.Par conséquent, les deux homes se sont efforcés de découvrir les causes de la société et de mettre le médicament approprié en luttant contre la corruption sociale et en limitant son répandu dans la oumma islamique, malgré la disparité qui existe entre les deux sociétés en termes de maladies et d'apparences, le cheikh Ibn Badis travaillait dans le cadre du rappel, de la predication, de l'alerte, du contiel et de l'orientation, tandis que le cheikh Muhammad Ibn Abd al-Wahhab était un mouvement scientifique soutenu par l'autorité.

**Mots clés:** Réforme, Réforme sociale, Muhammad Ibn Abd al-Wahhab, Abd al-Hamid ibn Badis

### Summary:

The study aimed to uncover the social reform of the media, whether the East or the Moroccans, especially Sheikh Muhammad bin Abdul Wahhab and Sheikh Abdel Hamid bin Badis, as well as drawing features of similarity and difference, especially in the fields and fields of reform. The Ummah, so they tried to present appropriate solutions according to the peculiarity of each society and its special circumstances. Therefore, the two men endeavored to uncover the causes of the deviation of society and put the appropriate medicine through fighting social corruption and limiting its spread in the Islamic ummah. Despite the disparity between the two societies in terms of diseases and manifestations, Sheikh Ibn Badis used to work within the framework of reminding, preaching, warning, counseling and directing, while Sheikh Muhammad Ibn Abd al-Wahhab was his scientific movement supported by the authority.

**Key words:** Reform, Social Reform, Muhammad Ibn Abd al-Wahhab, Abd al-Hamid ibn Badis



تصريح شفهي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا المعنى أدناه،

السيد (ة)، **جميع بريزة**

الصفحة (طالب، استاذ باحث، باحث دافع)، **طالبة**

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم، **100022828**

الصادرة بتاريخ، **13/03/2016** عن دائرة، **تارمونت**

المسجل بكلية، **العلوم الإنسانية والاجتماعية، التاريخ**

تخصص، **تاريخ وطن عزاب معاصر تحت رقم التسجيل، 16163102789**

والمكلف بإنجاز أعمال بحثا مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير الطرح (مكتوراه)

عنوانها، **الإصلاح الإجتماعي عند محمد بن عبد الوهاب  
وعبد الحميد بن باديس**

أصرح بشفهي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة

الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في

امضاء المعنى (ة)،



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

University Mohamed Boudiaf of M'sila

Faculty of Humanities and Social Sciences

Head-Deanship of the College for Studies and

Student Services

مكتبة العلوم الانسانية والاجتماعية

مركز الامانة للدراسات والمسائل المرتبطة بالعلمية

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الإصلاح الاجتماعي عند محمد عبد الوهاب وعبد الحميد بن باديس

إعداد الطلبة:

1- نور صغير محمد رقم التسجيل: 161635402640

2- حمد بصبغ لمرزوق رقم التسجيل: 161635402789

القسم: التاريخ الشعبة: التاريخ التخصص: تاريخ لوطن احري لطاصر  
إشراف: د. بن محمد يونس الرتبة: أستاذ محاضر (ب)

أقر بانني تابعت العمل المذكور اعلاه في جلسات اشرافية طيلة الموسم الجامعي 2020-  
2021 وأسمح بايداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وامضاء المشرفة(ة):

رئيس القسم

د. بوقزولنة عبد المالك



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
People's Democratic Republic of Algeria  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
Ministry of Higher Education and Scientific Research  
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة  
University Mohamed Boudiaf of M'sila



Faculty of Humanities and Social Sciences  
Vice-Chancellorship of the College for Studies and  
Student Services

العلوم الإنسانية والاجتماعية  
العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالعلمية  
الرقم: 2021/

تصريح شفهي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا المعنى أدناه :

السيد (5)، بن صالح محمد

الصفة (طالب، استاذ باحث، باحث دائم)، طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 109971017003380007

الصادرة بتاريخ: 24-04-2016 عن دائرة مبنى بلعانة للبيداغوجيا

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية قسم التاريخ

تخصص: وطن عربي عصامي تحت رقم التسجيل: 161635100610

والمكلف بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه).

عنوانها: الإصلاح الاجتماعي عند محمد عبد الوهاب

بن صالح محمد

أصرح بشرفي بالني التزام بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة  
أدبعية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في:

امضاء المعنى (5)،

القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 2016-07-28 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.